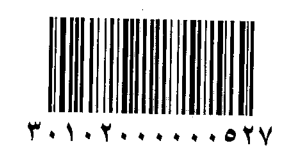
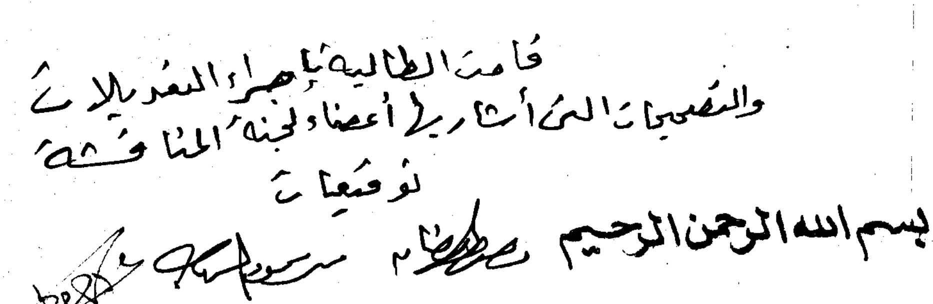


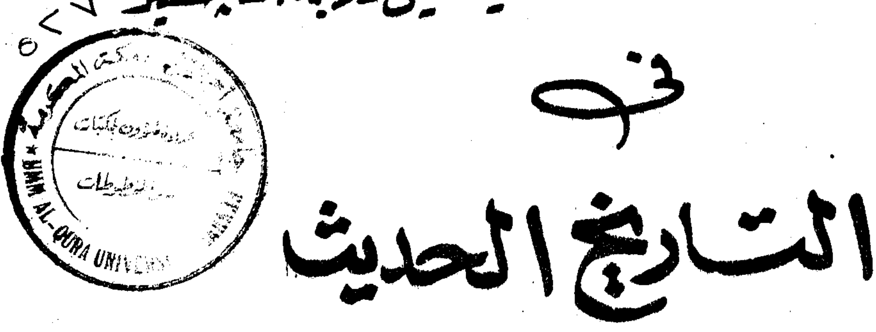


بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى

جدة في القرن العاشر الهجري
٩٠٠ - ١٠٠٠ هجري

جزء من المقررات العلمية لنيل درجة الماجستير



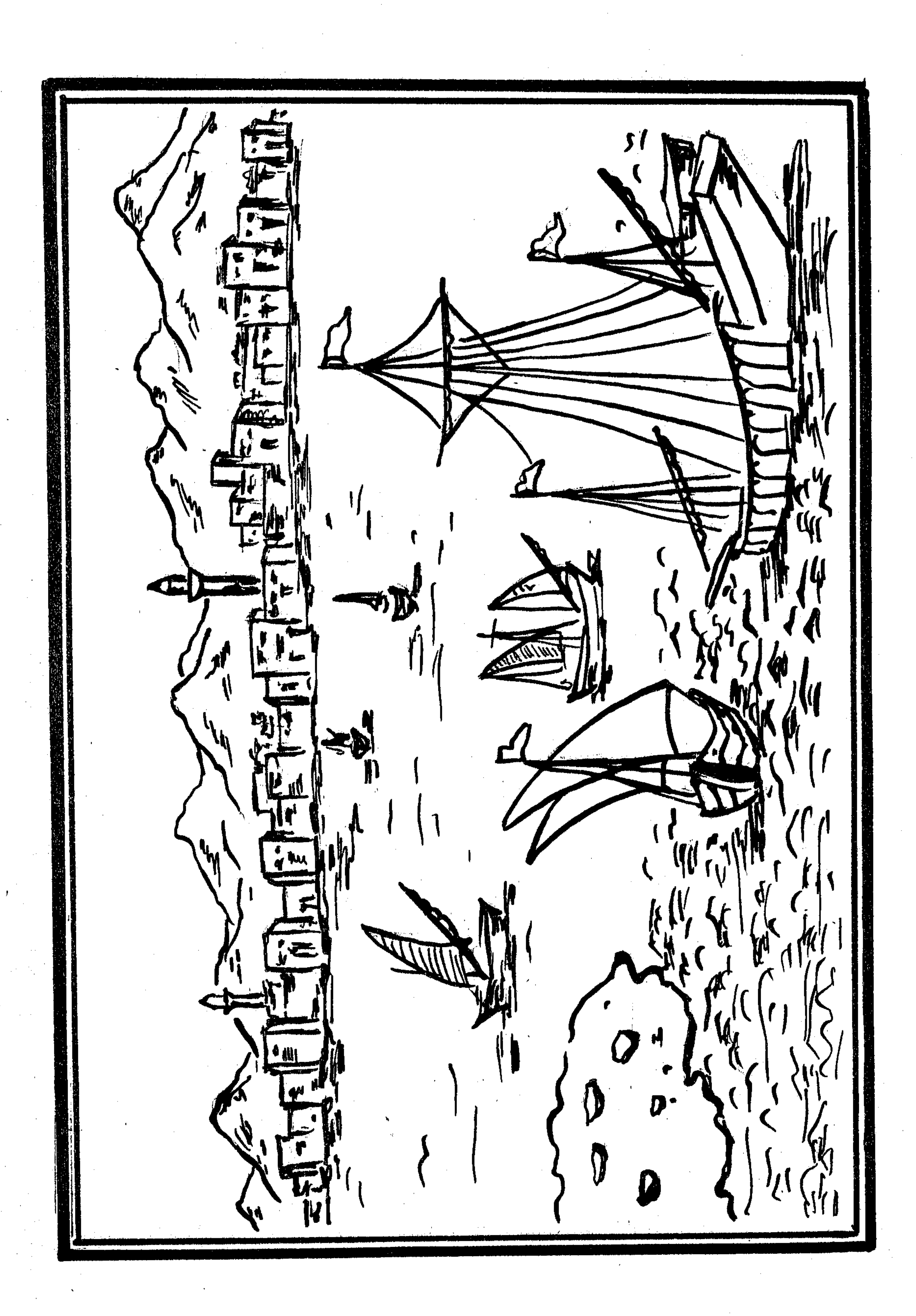
في

التاريخ الحديث

إشراف الأستاذ الدكتور
مصطفى محمد رمضان
أستاذ التاريخ الحديث المشارك بجامعة أم القرى وجامعة الأزهر

إعداد الطالبة
نوال سراج ششة





بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

يسعدني وأنا أتقدم برسالتي هذه . التي موضوعها

جدة في القرن العاشر الهجري

(٩٠٠ - ١٠٠٠ هـ)

لنيل درجة الماجستير أن أشكر الله سبحانه وتعالى
على توفيقه لي . ثم أهدي هذه الرسالة الى والدتي الحبيبة
التي لها الفضل الأكبر في إنجاز هذه الرسالة . كما أخص بالشكر
أستاذي الكريم الدكتور

مصطفى محمد رمضان

الذي لازمني طوال فترة الكتابة بالتوجيه والإرشاد وجمع
المعلومات العلمية اللازمة من منابعها حتى إكتمل البحث وأصبح
بهذه الصورة التي أرجو أن أكون قد وفقت في إنجازها على
الوجه المطلوب ... كما أتقدم بالشكر والإمتنان لكل من
مد لي يد العون والمساعدة في الحصول علي المراجع
والمخطوطات التي إستعنت بها لإنجاز هذا البحث .

وشكراً ،

الباحثة نوال سراج ششة

محتويات البحث

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحـــة

المقدمـــة :

ان هذا الموضوع يتعلق بميناء جدة الاسلامي الذى يعتبـــر ميناء مكة المكرمة اذ انه منذ ان اهتم المسلمون بانشاء ثغر جدة في عصـــر الخليفة الثالث عثمان بن عفان وهو يكتسب مع مرور الزمن أهمية دينيــــة واقتصادية واستراتيجية الى أن أصبح من أهم الثغور في الجزيرة العربيــــة والبحر الأحمر وقد حظي بهذه المكانة لأنه ميناء أم القرى (مكة المكرمـة) ومفتاحها الى البحر الأحمر والعالم ، فاليه يصل حجيج بيت الله الحرام الذين يركبون البحر ومنه تزود الحجاز وقلب الجزيرة بالمؤن والبضائـــع من شتى بقاع العالم .

وغدت لجدة أهمية تجارية على مر الأيام فأصبحت مركزا مـــــن مراكز التجارة في العالم خلال العصور الوسطى تلتقي فيها السفن الآتيـة من الهند وشرق افريقيا بالسفن القادمة من مصر .

ولعل من أهم الدوافع التي دفعتني لاختيار هذا الموضـــوع هو أهمية هذه الفترة بالنسبة للتاريخ الاسلامي وبالنسبة لتاريخ المنطقـــة بصفة خاصة لان الهجوم الاوروبي بدأ في مطلع القرن العاشر الهجـــرى السادس عشر الميلادى وتعرضت هذه المنطقة وعلى الأخص ميناء جـــدة لكثير من المخاطر التي تتعلق بهجوم البرتغاليين على البحار الشرقيــــة ومحاولتهم تهديد مكة المكرمة والمدينة المنورة .

ومن ثم اهتم المسلمون وعلى الاخص المماليك في مصر بميناء جدة لأنه المنفذ الطبيعي لمكة المكرمة والى داخل الجزيرة العربية ولأنه من ناحية أخرى يعتبر خط الدفاع الاول عن مصر وشمال البحر الأحمر الأمر الذى دفعهم الى تحصينه واقامة سور حول مدينة جدة وميناءها وكانت هذه الظروف والملابسات العسكرية والسياسية والدينية غير واضحة في الكتب التاريخية التي تعرضت لتاريخ المنطقة في هذه الفترة والكتب التي تناولت تاريخ جدة بصفة خاصة والكتاب المعاصر لهذه الأحداث في القرن العاشر الهجرى والسادس عشر الميلادى الذين خلطوا بين مخاطر هجوم العدو على ميناء جدة وبين المخاطر الخارجية التي سبق ذكرها بل لم يلتفتوا اليها بقدر كاف أو بالأهمية التي يجب أن يبرزوها لهذه الأخطار الخارجية .

ومن ثم أردت ان اتناول هذا الموضوع لكي القي عليه كثيرا من الضوء لأزيل كثيرا من الالتباس وأوضح الاسباب التي دفعت المصريين للاهتمام بهذا الميناء وجعله مركزا حربيا واستراتيجيا هاما باقامة سور حول جدة أولا ثم تحصين جدة وجعلها رباطا يرابط فيه الجنود المسلمون تحسبا للاخطار التي كانت تحدق بجدة كما سنتحدث عن ذلك بالتفصيل في ثنايا هذه الرسالة .

والكتب التي تناولت تاريخ جدة ومنها الكتاب الذى نشره مؤخرا الشيخ عبد القدوس الانصارى أهملت اهمالا يكاد يكون تاما قصة هذه

الحوادث في تاريخ جدة في هذا القرن نظرا لتفرق المعلومات الخاصة بهذا القرن في العديد من المخطوطات والكتب . فكانت مهمتي مع هذا البحث هو جمع نتف من هنا وهناك وضم بعضها الى بعض وابراز تاريخ جدة في هذه الفترة الحاسمة من تاريخ الجزيرة العربية والحاسمة في تاريخ العالم الاسلامي . وكذلك كانت عملية الهجوم على جدة من القبائل العربية الضاربة بين جدة وينبع من الموضوعات التي اهملت تماما على الرغم من تعرض الشيخ عبد القادر الجزيرى الانصارى لها في كتابه (درر الفوائد المنظمة في اخبار امراء الحج وطريق مكة المعظمة) .

ومن الاشياء التي تكفل البحث بابرازها : القاء الضوء على الأهمية الاستراتيجية لميناء جدة في القرن العاشر الهجرى وتوضيح مسألة اغارة البدو على جدة في مطلع القرن العاشر الهجرى وماقامت به السلطات المصرية من ضرب على أيدى العابثين بأمن جدة ومكة من القبائل .

ومن هذه الاشياء أيضا ابراز الدوافع الحقيقية للهجوم البرتغالي على الشرق الاسلامي ونفس خرافه ماسمي بالكشوف الجغرافية .

ومنها توضيح الظروف والملابسات التي بني فيها سور جدة بأمر من السلطات المصرية تحت اشراف نائب جدة حسين الكردى (٩١٢ - ٩٢٣ هـ) .

ومنها أيضا القاء الضوء على الحركة التجارية في جدة في هذا القرن

والاشارة الى بعض السلع المتداولة والاقوات التي كانت ترد الى الميناء وغير ذلك من الموضوعات التي تكفل البحث بايضاحها .

وقد استخدمت في هذا البحث العديد من المخطوطات والمصادر المعاصرة للاحداث. والمراجع الحديثة وقد اتصفت هذه المصادر بطريقة خاصة في كتابتها تختلف عن الطريقة الحديثة وأخص منها المخطوطات التي تكتب بخط ردئ وفي أغلب الأحيان تكون غير منقوطة ومكتوبة بأسلوب ركيك ولكن على الرغم من ذلك فقد وجدت فيها المادة التي كانت الأساس في موضوع هذه الرسالة ، لذلك يجب أن أشير الى كل مخطوطة وكل مصدر على حدة لان كلا منهما كان يتميز بطريقة خاصة ومميزات ينفرد بها عن الآخر مهما صغر حجمه أو قلت مادته .

وأهم هذه المخطوطات والتي اعتمدت عليها اعتمادا أساسيا في هذا البحث مخطوطة (السلاح والعدة في تاريخ جدة) للشيخ عبد القادر احمد بن محمد بن فرج الشافعي الخطيب في جدة المتوفي عام ١٠١٠ هـ - (١٦٠١م) وقد سطر مادة هذه المخطوطة التي تصف جدة في القرن العاشر الهجرى بحيث جعل المقدمة في سبب تسمية جدة والفصل الأول في فضلها وماورد فيه من الاخبار ثم الفصل الثاني في أول من جعلها ثغرا لملكه وقد استعرض في هذا الفصل بعض تاريخها القديم وعن سكانها في عهد المؤلف وجاء فيه ان بيت ابن فرج من اليمن من أهل الغور وأول من سكنها منهم الفقيه فرج ، والفصل الثالث في سبب

عمارة سور جدة في أول القرن العاشر الهجرى وهذا أطول الفصول وأحفلها بالفوائد . اما الفصل الرابع في ذكر مابها من قبور العلماء والصالحين .
والفصل الأخير ويتضمن عدة موضوعات وبالاجمال فهذه المخطوطة على الرغم من انها تحتوى على صفحات قليلة العدد الا انها تحتوى على كثير مما كتب عن جدة حتى فترة البحث لأنه استعرض لنا فيها تاريخ جدة استعراضا وافيا فقد كان الشيخ ابن فرج معاصرا للأحداث في فترة القرن العاشر فهو استعرض غارات بني ابراهيم على جدة وايذائهم للحجاج المسلمين ، ثم استعرض محاولات البرتغاليين في البحر الأحمر ولم يلتفت اليها بالقدر الذى تستحقه واستعرض انهيار التجارة الاسلامية وحماية الدولة المملوكية في مصر للاراضي المقدسة وارسال السلطان الغورى حمله الى جدة بقيادة حسين الكردى وبناء هذا القائد للسور الذى أصبح بعد ذلك الحصن الحامي من هجمات البرتغاليين ويذكر أيضا في هذه الفترة عدد أبواب السور وعدد اضلاعه ومساحة كل ضلع كما ذكر فيها بعض العادات والتقاليد التي كانت لأهل جدة في ذلك العصر ويقع المخطوط في خمس وأربعين صفحة . أما من ناحية الخط والاسلوب ، فالمخطوطة رديئة الخط مفككة الاسلوب غير منقطة في بعض الأحيان ، كل ذلك مما جعلني ابذل جهدا ضخما من أجل الانتفاع بها .

أما المخطوطة الأخرى فهي (الجواهر المعدة في فضايل جدة) للشيخ أحمد بن محمد بن احمد الخضراوى المكي الهاشمي ولد في الاسكندرية

عام ١٢٥٢ هـ ثم انتقل مع والده الى مكة وعمره سبع سنوات فنشأ بهـا وتفقه ، وقد توفي عام ١٣٢٧ هـ وقد تضمنت هذه المخطوطة الكـلام عن جدة بصورة أخرى تخالف الصورة الأولى ، فقد ذكر الشيخ الحضراوى في هذه المخطوطة فضائل جدة وكيف انها دهليز مكة وأجر القائم بهـا والمجاهد فيها ثم وصف لنا شوارعها وازقتها ومنازلها ومقاهيهـا ومساجدها وزواياها كما ضمنها في النهاية بعض الأبيات الشعرية .

أما من ناحية الخط ، فهي تعتبر أفضل من (السلاح والعدة) لان خط (الجواهر المعدة) قريب من الخط الحالي المتداول لدينـا وكذلك المعنى مترابط بطريق أفضل لانه اعيد كتابتها بخط الشـيخ عبد الستار الدهلوى . وهناك مخطوطة ثالثة استعنت بها في رسالتـي وهي مخطوطة (روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتـن والفتوح) لعيسى بن لطف الله بن المطهر بن الامام شرف الدين اليماني الكوكباني المتوفي عام ١٠٤٨ هـ (١٦٣٨) م وهو موءرخ وشاعر له موءلفات عديدة منها (روح الروح) و (النفحة اليمنية في الدولـة المحمدية) اهداهما الى الوزير التركي محمد باشا وقد عاصر ابن المطهر الامام القاسم ابن محمد امام وموءسس الدولة القاسمية وكان يفد اليه ولـه مكانة عنده ، ومخطوط روح الروح لابن المطهر يقع في (٥١٥) ورقة وتنتهي حوادثه بما جرى في اليمن عام ١٠٢٩ هـ (١٦١٩) م وقـد احتوت المخطوطة على معلومات هامة للبحث خاصة بمحاولات البرتغاليـين

دخول البحر الأحمر والانتفاع به كهمزة وصل بين مصر والهند ، كذلك تحدث عن الفتح العثماني لليمن ، كذلك عن تحالف الدولة العثمانية مع مسلمي شرق افريقية ، كما أورد ابن المطهر في كتابه خبر استيلاء البرتغاليين على هرمز التي تعتبر مفتاح الخليج العربي .

كذلك استعنت بمخطوطة " انباء ابناء الزمن في تاريخ اليمن " ليحيى بن الحسين بن الامام القاسم بن محمد المتوفى عام ١١٠٠ هـ (١٦٨٨م) وقد حققت هذه المخطوطة حديثا في كتاب مختصر بعنوان (غاية الاماني في أخبار القطر اليماني وقد اتبع المؤلف في هذه المخطوطة طريقة الحوليات حيث بدأها من الهجرة النبوية حتى عام ١٠٥٦ هـ (١٦٤٦م) وذكر فيها فتح العثمانيين لليمن وعدن وتعتبر هذه المخطوطة من أهم المصادر التي تناولت تاريخ اليمن في تلك الفترة لما اتصفت به من كثرة التفاصيل ولقرب مؤلفها من الاحداث ولأنها كتبت بقلم مؤلف موضوعي غير متحيز وهذه من أهم المميزات التي يجب ان تتوفر في المؤرخ .

ومن بين المخطوطات التي اعتمدت عليها هذه الرسالة :

مخطوطة " اللطائف السنية في اخبار الممالك اليمنية " ، لبدر الدين محمد بن اسماعيل الكبسي الحسني الذى عاش في الفترة من ١٢٢١ هـ - ١٣٠٨ هـ (١٨٠٦ - ١٨٩١م) وقد بدأ هذه المخطوطة بذكر عمال الرسول صلى الله عليه وسلم على اليمن حتى وصل

الى عام ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦م) وقد استفدت منها لارتباطها باليمن في هذه الفترة والملابسات المتصلة بوضع جدة .

وتأتي بعد ذلك مخطوطة " المنح الرحمانية في الدولة العثمانية" لمحمد بن محمد ابي السرور زين العابدين بن محمد البكرى الصديقي المعروف بابن أبي السرور ١٠٠٥ - ١٠٨٧ هـ (١٥٩٦ - ١٨٧٦م) وقد كتب هذه المخطوطة بعد فراغه من تأليف كتاب " عيون الاخبار ونزهة الأبصار " وخصصها لأخبار الدولة العثمانية مع زيادات بسيطة وبعض الأخبار المتصلة بالحجاز واليمن فمصر كانت مرتبطة بجدة واليمن في ذلك الوقت وقد كانت تخرج الحملات من مصر الى جدة ثم الى اليمن .

أما المصادر العربية التي أفادتني في موضوع بحثي فأهمها :
كتاب " درر الفوائد المنظمة في اخبار الحاج وطريق مكة المعظمة للشيخ عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد بن ابراهيم الانصارى الجزيرى نسبته الى جزيرة الفيل من اعمال مصر ولد عام ٨٨٠ هـ وبقراءة كتابه نجده يقف عند احداث سنة (٢٩/١٠٩١ هـ) وله مؤلفات قيمة منها (خلاصة الذهب في فضل العرب " و " منازل المنازل ومناهل المناهل " و " الزجر عن الخمر " وغير ذلك من الكتب وقد ألف كتاب " درر الفوائد " في سبعة أبواب وكل باب يحتوى على عدة فصول وقد وجدت في هذا الكتاب مادة دسمة لموضوع بحثي لأن مؤلفه كان يشغل وظيفة امير الحج فاستطاع ان يقدم لنا ما لمسه من أحداث ، ويلاحظ أيضا انه ورث هذه

المهنة وهذا العمل عن والده الذى يتحدث عنه بافاضة في ثانيا كتابه ويذكر انه التحق بهذا العمل معه منذ نعومة اظفاره فكان بحق خير شاهد على هذا العصر وكتابه من أهم المصادر المعاصرة لموضوع بحثنا ، على الأخص في مسألة الحديث عن القبائل الضارية في طريق قافلة الحج منذ دخول كل مايتصل بشئون الحج من أمور .

ومن جملة هذه المصادر ماكتبه ابن ماجد الملاح وابن ماجد هو شهاب الدين احمد بن ماجد بن محمد بن عمر بن فضل بن دويك بن يوسف السعدى بن أبي الركائب النجدى كان بحارا وعالما من علماء البحر والفلك المسلمين ، عاش في النصف الثاني من القرن التاسع الهجرى واوائل القرن العاشر الهجرى ، وكان له الفضل الأعظم في ارشاد البحار البرتغالي فاسكودى جاما الى طريق الهند وقد تغافلت اكثر المراجع العربية عن ذكر هذا الملاح العربي وتاريخ حياته غير انه تحدث عن نفسه في موءلفاته ومنها علمنا ان اصله نجدى من وسط الجزيرة العربية غير انه ولد في جلفار من اعمال (رأس الخيمة) ولابن ماجد موءلفات كثيرة ،منها : " ثلاث ازهار في معرفة علم البحار " وهو من أهم المصادر التي امدت البحث بمعلومات هامة عن المصاعب التي لاقاها البرتغاليون في ساحل شرق افريقية ، وذلك لعدم معرفتهم بطبيعة هبوب الرياح الموسمية ، وبما ان ابن ماجد بحار عاش حياته في البحر وعلى ظهر السفن لذلك كان هو الشاهد الوحيد الذى لمس ممارسة

البرتغاليين اعمال القرصنة في المحيط الهندى وأشار الى ذلك في كتابه ثلاث أزهار .

ومن كتبه كذلك كتاب : " الفوائد في اصول علم البحار والقواعد " فأنا لم أستطع الحصول عليه كتابا وانما وجدته منشورا في مجلة تراث الانسانية ويحتوى هذا الكتاب على معلومات اجتماعية واقتصادية وسياسية وكانت ذات فائدة كبيرة لهذه الرسالة ، هذا بالاضافة الى المعلومات عن أهمية تجربته العملية في علوم البحار وملاحظته الدقيقة للرياح الموسمية والاستفادة منها في الملاحة الى الهند والبحر الاحمر وشرق افريقيا والخليج العربي .

وقد اتضح لنا في هذين الكتابين كيف تم للبرتغاليون اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح واحتكارهم لتجارة الشرق ، ثم كتاب " بدائع الزهور في وقائع الدهور " لابن اياس ويعتبر من أهم المصادر المعاصرة لموضوع البحث وابن اياس : هو محمد بن احمد بن اياس ٨٥٢ - ٩٣٠ هـ (١٤٤٨ - ١٥٢٣) مؤرخ مصرى من مؤرخي القرن التاسع الهجرى والربع الأول من القرن العاشر الهجرى (الخامس عشر الميلادى) وهو من اولاد الأمراء في مصر وقد عاصر ابن اياس انهيار سلطنة المماليك على يد العثمانيين ودخول البرتغاليين في البحر الأحمر والمحيط الهندى وكتاب " بدائع الزهور " يلقي أضواء كثيرة على تاريخ مصر والشام والحجاز حتى عام ٩٢٨ هـ (١٥٢١م) وهي السنة التي

انتهى فيها المؤلف من تسجيل يومياته الدقيقة التي سجلت لنا كثيرا من أحداث هذا العصر وهي هامة جدا نظرا لان ابن اياس كان يعيش في عاصمة الدولة المصرية بجانب المماليك فكان على علم بكثير من أحداث العصر بحيث كان يسجل عن كثب ودراية ، وقد عنى ابن اياس في كتابه بصفة خاصة بتسجيل الاحداث التي تتصل بالفترة الزمنية التي تبدأ منذ اعتلاء السلطان المملوكي قايتباى العرش عام ٨٧٣ هـ (١٤٦٨م) بذكر تفاصيل الحوادث على شكل سجل يومي وشهرى ودون ابن اياس في كتابه كثيرا من الحوادث العامة والخاصة وقد استفاد البحث من الحوادث التي سردها ابن اياس في فترة القرن العاشر الهجرى كما انه أمدنا بمعلومات وافية عن غارات قبائل بني ابراهيم على جدة في مطلع القرن العاشر الهجرى وماقامت به الدولة من ارسال حملات لضرب هذه الغارات التي كانت عاملا من العوامل التي دفعت الدولة لبناء سور حول جدة . كما قام بوصف تدهور الحالة الاقتصادية في الدولة المملوكية بعد احتكار البرتغاليين للتجارة الشرقية .

كما أمدنا ابن اياس بمعلومات ذات قيمة عن مراحل تجهيز الحملات التي بعث بها السلطان الغورى الى المحيط الهندى للتصدى للبرتغاليين وما لاقته هذه الحملات من الصعاب .

ومن أهم المصادر التي استقيت منها مادة واضحة وسهلة عن فتح اليمن وما فعله المماليك والعثمانيون من بعدهم من أجل الدفاع عن البحر

الأحمر هو كتاب " البرق اليماني في الفتح العثماني " للشيخ قطب الدين النهروالي المتوفي عام ٩٨٨ هـ (١٥٨٠م) يعتبر من المصادر الهامة في هذا البحث ، والنهروالي هو قطب الدين محمد بن احمد علاء الدين بن محمد بن قاضي خان مؤرخ وفقيه وشاعر من أعلام القرن العاشر الهجرى اتقن اللغتين التركية والفارسية مما جعله يكتسب ثقافة عالية في عصره وله مؤلفات كثيرة غير هذا الكتاب منها كتاب " الاعلام بأعلام بلد الله الحرام " و " تذكرة النهروالي " و " كتاب التمثيل والمحاضرة " بالابيات المفردة النادرة " و " طبقات الحنفية " ، و " الفوائد السنية " ومؤلفه " البرق اليماني في الفتح العثماني " من أهم هذه الكتب بالنسبة للرسالة لانه ذكر فيه موضوع ضم العثمانيين لبلاد اليمن في القرن العاشر الهجرى والمحاولات التي قاموا بها لعقد تحالف مع امراء عدن ضد العثمانيين ، كما ذكر في هذا الكتاب تفاصيل حملة سليمان باشا الخادم التي بعث بها السلطان سليمان القانوني لضرب الوجود البرتغالي في المحيط الهندى عام ٩٤٥ هـ (١٥٣٨م) وتأخذ على النهروالي انه كان يميل الى العثمانيين وذلك لما كان له من مكانة عندهم اذ نراه يهدى هذا الكتاب للقائد العثماني سنان باشا فاتح اليمن وأهداه ايضا للسلطان مراد بن سليم الثاني عام ٩٨٢ - ١٠٠٣ هـ (١٥٧٤ - ١٥٩٤م) اما الكتاب الآخر الذى استعنت به للنهروالي ويأتي في المقام الثاني بعد كتاب " البرق اليماني " فهو كتاب " الاعلام باعلام بيت الله الحرام " فقد ذكر فيه فتح العثمانيين للشام ومصر وضم الحجاز اليهم .

كذلك ذكر فيه بعض ولاة جده الذين أقامتهم الدولة العثمانية على جــدة بعد حسين الكردى .

وهناك مؤرخ اهتم بذكر احداث اليمن والحجاز هو ابن الديبع وابن الديبع هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر بن علي بن يوسف بن احمد ابن عمر الشيباني الزبيدى الشافعي المتوفي عام ٩٤٣ هـ (١٥٣٦م) ولد بزبيد في اليمن عام ٨٦٦ هـ - (١٤٦١م) ونشأ بها وتلقى علومه فيها وفي مكة المكرمة وقد عاصر ابن الديبع المؤرخ المصرى احمد بن اياس كما عاصر آخر ملوك الدولة الطاهرية وهو عامر بن عبد الوهاب الطاهــرى (٨٩٤ - ٩٢٣)

ومن أهم مؤلفات ابن الديبع كتاب : " تيسير الوصول الى جامــع الأصول " وكتاب " بغية المستفيد باخبار زبيد " و (قرة العيــــون بأخبار اليمن الميمون " وهناك كتاب اهتم بانهيار الدولة الطاهرية علــى يد حسين الكردى الذى اسندت اليه عملية تأمين السواحل اليمنية والاطمئنان على الجبهة اليمنية امام الزحف البرتغالي وقد قام بهذا العمل في البداية اثناء مروره على اليمن والتوجه الى ساحل الهند عام ٩١٣ هـ (١٥٠٧م) لصد البرتغاليين في جزيرة ديو . كما وضح ابن الديبع محاولة استيــلاء البرتغاليون على مدخل البحر الأحمر عام ٩١٩ هـ (١٥١٣م) عندمـــا هاجموا عدن وجزيرة كمران في مدخل البحر الأحمر وزيلع على شاطــئ افريقية الشرقي .

ومن الاشياء الجديدة في البحث توضيح غارات بني ابراهيم على جدة بزعامة امير ينبع وامير خليص التي كانت السلطات المصرية توكل اليهم حراسة قافلة الحج المصرية اتقاء لشرهم . واستمر الحال الى عام ٩٠٧ - ٩١١ هـ (١٥٠١ - ١٥٠٥م) حيث قامت هذه القبائل بكثير من اعمال السلب والنهب لحجاج بيت الله الحرام الى ان قضى عليهم السلطان الغوري حيث بعث حملة لهذه المهمة بقيادة الأمير قيت الرجبي عام ٩٠٨ هـ (١٥٠١م) استطاعت هذه الحملة ان تقضي على هذه القبائل وتنقذ جدة وطرق قوافل الحج من أذاهم .

كما وضح البحث الزحف البرتغالي على جدة والبحر الأحمر وماسببه من آثار سيئة واضرار جسيمة لحقت بالبحار العربية عامة والبحر الأحمر خاصة بعد التفاف البرتغاليين حول رأس الرجاء الصالح في عهد فاسكودى جاما بمساعدة البحار العربي احمد بن ماجد عام ٩٠٤ هـ (١٤٩٨م) مما جعل السلطات المملوكية في مصر تبعث بحملة الى جدة عام ٩١١ هـ (١٥٠٥م) بقيادة حسين الكردى الذى أقام حولها سوارا لصد هذه الغارات عن جدة كما وضح البحث اسباب بناء السور لأن الأقوال اختلفت في اسباب بنائه . فالشيخ عبد القادر بن فرج ذكر في مخطوطته (السلاح والعدة ...) ان أسباب بناء سور جدة هو هجمات القبائل المجاورة لجدة على قوافل الحج بينما يتضح لنا عدم معرفة الشيخ عبد القادر بن فرج بالسبب الرئيسي الذى هو هجوم البرتغاليين على جدة ومحاولة استيلائهم على البحر الأحمر وتهديدهم للأماكن المقدسة .

لأن المواطنين في تلك الفترة لم يكونوا على مستوى المسؤولية ، لانه قد اتضحت لنا فائدة بناء السور عندما هاجم البرتغاليون جدة بعد سقوط دولة المماليك ٩٢٣ هـ (١٥١٧م) . وكيف أن اسوارها ردتهم عنها خائبين ثم مواصلة حسين الكردى سيره الى الشواطيء الهندية هذا بالاضافة الى توضيح اسباب كساد التجارة في جدة وذلك بسبب ارتفاع اثمان التوابل من قبل تجارها المحتكرين لها حيث كان اكثرهم من الهيئة الحاكمة في مصر .

ثم استعرضنا تحصين نائب جدة لثغور اليمن فتم تحويل موقفهم من الهجوم الى الدفاع .

ومن الجديد في البحث ايضا توضيح سياسة الحكومة العثمانية في البلاد العربية التي كانت تعني بوضوح الاسترخاء العسكرى لانشغال السلطان العثماني سليمان القانوني بالحروب في اوروبا . ثم وضح لنا البحث موقف الأمير قاسم الشرواني الذى اتهم بأنه استولى على أموال جدة وأسلحتها وفر بها ولكن اتضح لنا من توالي الأحداث ان الأمير قاسم الشرواني لم يهرب بالعائدات وانما جمع ذلك كله واتجه به الى هرمز لموءزرة ابناء الخليج لصد الهجوم البرتغالي عن هرمز لانه اعتبر نفسه مسؤولا أمام الله عن مساعدتهم مادام يملك السلاح والعتاد ، كذلك وضح لنا البحث امتداد سلطان العثمانيين بعد فتح الحجاز على سواكن ومصوع واطلاقهم على هذا الجزء اسم ولاية الحبشي لانها المخرج لبلاد الحبشة اذ اصبح ولاية واحدة تعرف بولاية الحبشي .

الفصل الأول

جده في مطلع القرن العاشر الهجري

«السادس عشر الميلادي»

- الموقع والأهمية الاستراتيجية والإقتصادية.
- غارات بنى إبراهيم على جده بزعامة أمير ينبع وأمير خليص.
- حملة قيت الرجبي للدفاع عن جده ضد قبائل بنى ابراهيم عام ٩٠٨ هـ
- بداية الزحف البرتغالى وأثره على جُده.

الموقع والأهمية الاستراتيجية والاقتصادية :

يجدر بنا قبل أن نتحدث عن موقع جدة وأهميتها الأستراتيجية والاقتصادية . أن نشير اشارة سريعة الى اسم جدة واختلاف العلماء في ضبطه وسبب هذه التسمية .

أما فيما يتعلق بالتسمية واختلاف نطق جدة فان فيها ثلاث لغات ، :

الأولى : " جدة " بضم الجيم المعجمة وتشديد الدال وسكون الهاء ومعناها الفرضة أى الميناء ، وهذه أصح اللغات .

الثانية : " جدّة " بكسر الجيم وهي الخطة وذكر الشيخ عبد القدوس الأنصارى في كتابه : " التحقيقات المعدة بحتمية ضم جيم جدة " "١"

---

(١) عبد القدوس الأنصارى ، التحقيقات المعدة بحتمية ضم جيم جدة ، مطبوع في جدة ولم تذكر سنة الطبع ، ص . ص : ١٥ - ١٦ .

" الجدة بكسر الجيم " هي اليمن والسعادة ، وهذا الثغر بلا شك منه المادة التي تقوم بحياة هذه البلاد كلها وأى شيء أسعد مما يقوم بحياة الانسان ووجوده ، كما ان " الجده " بالفتح الطريقة الواسعة .

ويناقش الشيخ الانصارى ماصعحه " البتنوني في الرحلة الحجازية " فيقول : أن " جدة " بكسر الجيم وفتحها على أنها اسم للبلد بأن المعاجم اللغوية والتاريخية العربية اجتمعت كلها على القول بضم الجيم مع معرفة أصحابها وايرادهم لصيغة " جدة " المكسورة الجيم المقصود بها لغويا الطريق .

ويقول : أما " جدة " بفتح الجيم كما ينطقها المصريون فلا نراه يزيد عن مثله في الحجاز . اذ تنطق هنا " بكسر الجيم " ولم نطلع فيما اطلعنا عليه من المراجع اللغوية مايقول أن معنى " جدة " بفتح الجيم بعدها مباشرة " دال " هي الطريق الواسعة كما أورد البتنوني وانما هي " الجادة " أى بجيم مفتوحة بعدها ألف فدال مشددة وهناك فرق بين الصيغتين ."(١)

---

(١) المرجع السابق ، نفس المكان .

ويذكر ياقوت الحموى سبب تسميتها " جدة بالفتح " كونهـــا منزل أم البشر حواء وهي الجدة وقيل لأنه ولد بها جده ابن جرم جد قضاعة ، وجدة مدينة ساحلية تقع على الشاطيء الشرقي للبحـــر الأحمر ويقع مرفأها في منتصفه ، والمسافة بين جدة ومكة خمسة وخمســـون ميلا وتقع على الدرجة (٣٦ والدقيقة ٥٠ من خطوط الطول الشرقية . وعلى الدرجة ٢١ والدقيقة ٢٨ من خطوط الطول الشمالية "(١)

ويذكر بعض المؤرخين أنها من بناء الفرس قبل الاسلام وهناك رواية ذكرها صاحب " السلاح والعدة " عن خروج الفرس منها وهـــي

----

(١) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، بيروت ، لم تذكر سنـــة الطبع ، جـ ٢ ، ص ١١٤ ، أحمد بن علي القلقشندى ، صبح الأعشى في صناعة الانشا ، القاهرة عام ١٣٨٣ هـ ، جـ ٤ ، ص ١٥٨ .
، احمد بن محمد الحضراوى ، الجواهر المعدة في فضايـــل جدة وتاريخها نسخة كتبت بخط الشيخ عبد الستار الدهلوى بمكتبة الحرم المكي رقم (٢٧) ص ٣ .

أن أهل جدة تعودوا أن يدفعوا لحاكم مكة في ذلك الوقت كل عام حملا من حديد ، كخراج لجدة ، وفي أحد السنوات أخطأ خازن دار جدّة ودفع له حملا من ذهب ، فأخذ ذلك عليهم حاكم مكة حتى اذا جاء العام القادم وبعثوا له بحمل الحديد ، فرده اليهم وطالبهم بحمل من ذهب مثل العام الماضي "١"

فلما بحثوا في مستودعاتهم وجدوا أن ذلك صحيحا فما كان من حاكمهم الا أن طلب منهم الخروج من جدة وأحضر لهم ثلاثة طيور وضرب لهم بها مثلا "٢" اذ ترك الأول يطير وهو سلم ، وقال لهم : لو خرجتم الآن لكنتم مثل هذا الطائر ، ونتف ريش الثاني وتركه يتخبط ، وقال لهم : لو انتظرتم للعام القادم لصرتم مثل هذا ، ولو انتظرتم للعام الذى بعده أصبحتم مثل هذا الطائر المذبوح ، عندها اقتنع الأهالي بكلامه وفروا من جدة فركبوا سفنهم وتوجهوا شرقا وغربا وشمالا وجنوبا على

---

(١) عبد القادر بن فرج ، السلاح والعدة في تاريخ جدة ، مخطوط بمكتبة الحرم المكي رقم (٢٨) ، ص ١١ .

(٢) عبد القادر بن فرج ، المرجع السابق ونفس الصفحة .

الرغم من أننا نستشف من هذه الرواية طابعها الأسطوري الا أننا نأخذ منها "١" ان جدة قد سكنها الفرس قبل الاسلام وأكبر دليل على ذلك أن سلمان الفارسي كان يسكنها وأهله قبل الاسلام وسلمان الفارسي يكنى أبو عبد الله ويقال أنه من أهل هرمز ويقال أيضا أنه "٢" من أهل أصبهان من قرية يقال لها " حي" وكان أبوه دهقان أرضه .

وأول من اهتم بها في الاسلام هو الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه عام ٢٦ هـ (٦٤٦م) بعد أن شاور الناس في ذلك ،اذ كانت الشعيبة التي تقع على بعد حوالي ٢٠ كيلو مترا جنوب جدة "٣"

---

(١) نفس المرجع السابق ونفس المكان .
، محمد لبيب البتوني ، الرحلة الحجازية ، القاهرة ، عام ١٣٢٩ هـ ، ط ٢ ، ص ٥ .
، عبد القدوس الانصاري ، تاريخ جدة ، ص ٥٢ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، بيروت ، عام ١٣٧٧ هـ ، جـ ٤ ، ص ٧٥ .

(٣) ابراهيم رفعت باشا ، مرآة الحرمين ، القاهرة عام ١٣٤٤ هـ جـ ١ ، ص ، ص ٢٣ - ٢٤ .

Angelo Pesce, Jiddah, Portrait of an Arabian City, Falcon Press, London, 1977. p.61.

وهي ساحل مكة التجاري قبل الاسلام ، واستمرت في صدر الاسلام الى عهد الخليفة الثالث عثمان ، ولكن التجار اشتكوا اليه رضي الله عنه ما يعانونه في ميناء الشعيبة لكثرة ما فيه من الشعاب المراجانية التي كانت تعوق سير السفن وقالوا له أن في شمالها مكان خيرا منه فذهب سيدنا عثمان اليه في جمع من قومه ليشاهده بنفسه فوجده حقيقة أفضل من الشعيبة فأمر بجعله ثغرا لمكة المكرمة .

ومما هو جدير بالذكر أن عثمان بن عفان رضي الله عنه احتفل بهذه المناسبة بأن نزل "١" في المياه للاستحمام وأمر قومه بالاستحمام في مياه جدة .

ومنذ ذلك التاريخ أصبحت جدة مدينة مشهورة حيث يقع هذا الميناء في منطقة الشعاب المرجانية الحمراء والسوداء التي تمتد في مياه البحر الأحمر وبالقرب من سواحله الشرقية ويلاحظ على سطح مياهه أوراق نباتية مائية لونها حمراء قاتمة وربما كان لذلك أثر على مايعيش فيه من الأصداف الحمراء والأسماك المرجانية التي توجد بكثرة .

----

(١) محمد بن ابراهيم بن علي الفاسي ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ص ٨٧ . ، عبد الله محمد بن اسحاق الفاكهي ، أخبار مكة ، بيروت ، ولم تذكر سنة الطبع ، جـ ٢ ، ص ٧٥ ، البتنوني ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥ .

ومن هنا على مايبدو جاءت تسميته بالبحر الأحمر حيث يبدأ من باب المندب عند نهاية المحيط الهندى غرب اليمن "١" وينتهي الى مدينة السويس حيث يمر بشرقي الصعيد الى عيذاب "٢" وهو من البحار الشديدة الملوحة لأنه لا تصب في مياهه أنهار ، ويمتاز بوجود شجر اليسر

---

(١) الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمذاني ، صفة جزيرة العرب ، الرياض ، دار اليمامة ، ص ٥٧ .
، محمود طه أبو العلا ، جغرافية شبه جزيرة العرب ، الكويت عام ١٩٧٢ م ، جـ ٢ ، ط ٢ ، ص ٤٦٣ .
، الحسن بن محمد الورثيلاني ، الرحلة الورثيلانية ، بيروت عام ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤م) ، ط ٢ ، ص ٤٦٣

(٢) عيذاب : كانت عيذاب في النصف الأول من (ق ٥ هـ) بلدة صغيرة على شاطيء البحر الأحمر بها مسجد جامع وهي تابعة لسلطان مصر ومنها تنقل البضائع على الابل الى السودان وعلى يمين عيذاب من جهة القبلة جبل عليه من خلفه صحراء عظيمة (الصحراء الشرقية) وليس في مدينة عيذاب غير ماء المطر فلا بئر فيها ولا عين فاذا لم تمطر السماء أحضر البجاة الماء وباعوه ، سيد عبد المجيد بكر ، الملامح الجغرافية لدروب الحج ، ص ١٥٩ .

واللؤلؤ وأعظم أصناف السمك وهو صعب المدخل بسبب وجود الحرات والجروف والقنوات المتعرجة ، ويصف جدة بعض الرجالة الأجانب الذين زاروها في القرن العاشر فيقول :

" اليوم العاشر من شهر مارس عام ٩٤٥ هـ (١٥٣٨م[1]) وصلنا لمكان يقال له الكراع وهو صحراوى الشكل وقاعه حوالي ثمان قامات عمقا " كما يذكر قائلا : " وفي الحادى عشر تركنا الكراع بمحازاة الساحل نحو الجنوب والمسافة تبعد ثلاثين ميلا الى أرض يقال لها (خبرة) وهو المرفأ لوصول كل البهارات من الهند ومن كلكتا لأنها قد استفادت منذ عام ٨٥٧ هـ (١٤٥٣م) استفادة طيبة من جراء سقوط القسطنطينية في أيدى الأتراك الذين أغلقوا البوسفور وبذلك قطعوا الطريق الى البحر الأسود وبذلك وقف العرب والمصريون الذين كانوا مسيطرين عليه تماما لاحتكار البهارات " "٢" كما أن الماء شحيح في جدة لأنه لا يوجد بها عيون ماء وقد ذكر صاحب " السلاح والعدة " أن الفرس لما حصنوها خافوا من قلة الماء فعمروا ثمانية وثمانين صهريجا داخل البلد ومثلهما خارجها وقيل ثلاثمائة داخلها وثلاثمائة خارجها .

---

(١) محمد مختار باشا : التوفيقات الالهاميه في مقارنه التواريخ الهجريه بالسنين الافرنكيه والقبطيه ص ٢٥

(٢) Angelo pesce, op. cit, P.67.

، توفيق اليوزبكي ، تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المملوكي ، العراق عام ١٣٩٥ هـ ، ص ٧٢ .

أما ابن جبير فيقول عن هذه الصهاريج أو الخزانات " انها جباب محفورة من الحجر الصلد في باطن الأرض تملأ بماء المطر كما أن في جميع المنازل توجد صهاريج تملأ بالماء المنحدر اليها من سقوف المنازل "١" ولكن هذه المياه غير صحية ، ونلاحظ أن الأغنياء كانوا يجلبون المياه من الآبار البعيدة .

أما مكانتها الدينية فيفيض فيها المؤرخون فيذكر بعضهم ان الله عز وجل شرفها وجعل فضل الرباط بها كفضل مكة على سائر المدن ، لأن طريقها وطئته أقدام رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كانت بيعة الرضوان تحت الشجرة في طريقها ومنها جعل الله تعالى رزق أهل مكة يصل عن طريقها "٢" .

---

(١) عبد القادر بن فرج ، مخطوط سبق ذكره ، ص : ١٠ .
، ابن جبير ، مرجع سبق ذكره ، ص : ٥٤ .
(٢) احمد الحضراوى ، مخطوط سبق ذكره ، ص : ٢٠ .
، الفاسي ، مرجع سبق ذكره ، ص ٨٧ .
، الرحلة الورثيلانية ، مرجع سبق ذكره ، ص ص : ٤٣٨، ٤٣٩ .
، الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص ٢٠

ونلاحظ ذلك في العصر المملوكي حيث ازدادت أهميتها التجارية اذ تطلع سلاطين المماليك في مصر الى حماية الحرميـن الشريفين وتأميـن سبل الحج والعناية بثغر جدة . لأهميته الاقتصادية والدينية فتدخلوا لتوطيد حكمهم في الحجاز ، ففي عام ٦٦٧ هـ (١٢٦٨م) حـج السلطان الظاهر بيبرس وعين نائبا له بمكة يرجع اليه اشراف مكة فـي المهمات ويكون الحل والعقد على يديه وهو شمس الدين مروان لأنهـم انتفعوا بتجارة البحر الأحمر وكنا دافع الأسطول المصرى عـن استقلال الدولة المملوكية في مصر والشام سياسيا . كذلك وقع عليـه العبء الأكبر في الدفاع عن استقلالها الاقتصادى "١". ذلك أنه لم يكـن للسفن القادمة بتجارة الهند والشرق الأقصى الا طريق البحر الأحمر ، اذ كانت البضائع تنقل برا من الخليج الفارسي الى الاسكندرونة أو مـن البحر الأحمر الى الاسكندرية ومن هذين الثغرين تنقل بطريق البحـر الأبيض المتوسط الى البندقية وجنوه حيث توزع منها الى باقي أنحـاء أوروبا .

----

(١) مصطفى رمضان ، فائق الصواف ، مرجع سبق ذكره ، ص ص : ٢ - ٣ .
د. سعاد ماهر ، البحرية في مصر الاسلامية - وزارة الثقافة ، دار الكاتب العربي ، ص ١٢٦ .

وبذلك أصبحت تجارة الشرق الأقصى والهند تمر لا محالة من اراضي الدولة المملوكية سواء نقلت عن طريق الخليج الفارسي أم عن طريق البحر الأحمر طريق مصر والشام خاضعتين لسلطانهم "١" فانتفع المماليك بتجارة البحر الأحمر فضربوا عليها المكوس الكبيرة "٢" ، مما جعل دول أوروبا تفكر في فك الاحتكار المملوكي للتجارة الشرقية.

ويتضح هنا ماحققه البرتغاليون في هجومهم الصليبي وهو حرمان الدولة المملوكية من مصدر تراثها وفي ذلك تعاونوا مع فرسان

---

(١) مصطفى رمضان ، فائق الصواف ، مرجع سبق ذكره ، ص ص : ٢ - ٣ .

(٢) محمد فريد وجدى ، دائرة المعارف ، القرن العشرين ، مادة ، جدة . جـ ٢ ، ص ٥٨٤ .

، سعاد ماهر ، المرجع السابق ، ص ص ١٢٦ - ١٢٧

، عبد المنعم النمر ، الاسلام في الهند ، ط ١ ، عام ١٣٧٨ هـ وصفحات : ١٣٢ - ١٣٣ - ٣٣٨ - ٣٣٩ .

القديس يوحنا "١" بجزيرة رودس حسب خطة محكمة اذ أنه في الوقت الذى تقوم فيه سفن البرتغاليين بمهاجمة التجارة المملوكية في البحر الأحمر كان قراصنة الفرنج من فرسان القديس يوحنا يقومون بنفس الهدف في البحر الأبيض المتوسط ، لأن البرتغاليين بعد أن ثبتوا اقدامهم في الهند أخذوا يهاجمون السفن المحملة بالتوابل ليحولوا خط سيرها عن جدة والأسواق الاسلامية الى الطريق الذى استطاعوا الوصول اليه

---

(١) فرسان القديس يوحنا جماعة من فرسان العصور الوسطى صليبية تكونت في مدينة القدس أبان الحروب الصليبية ثم بعد أن تمكن المسلمون من طرد الصليبيين من الشام بمركز فرسان القديس يوحنا في جزيرة رودس وماحولها من الجزر في المنطقة الشرقية من البحر المتوسط وفي عصر السلطان سليمان القانوني تمكن العثمانيون من احتلال جزيرة رودس وطرد فرسان القديس يوحنا من الجزيرة فخرجوا منها نهائيا وتمركزوا في جزيرة مالطة التي تقع تجاه بلدان المغرب العربي في البحر المتوسط ومما هو جدير بالذكر أيضا أن هذه الجماعة قضي عليها بعد قيام الثورة الفرنسية في فرنسا وذلك عندما خرج نابليون بحملته عام ١٢١٣ هـ (١٧٩٨م) الى مصر فمر على الجزيرة واحتلها وقضى على قوة فرسان القديس يوحنا لأنهم كانوا يناوئون من الثورة الفرنسية وبعد ==

مما جعل البضائع الهندية تنقل الى مواني الدولة المملوكية وترتفع اسعارها فكان التجار المسلمون يحصلون على قنطار الفلفل من الهند بما يعادل دينارين ونصف أو ثلاثة دنانير ثم تبيعه بأسواق الاسكندرية مابين ثمانين ومائة أو مائة وعشرين دينارا بينما تباع في أسواق لشبونة بعشرين دينارا الى أربعين "١" .

ويجدر بنا هنا الاشارة الى المسافات بين جدة وغيرها من الموانئ الاسلامية والعربية وأشارت بعض الكتب القديمة والحديثة الى تقدير هذه المسافات ، ونجد في هذه التقديرات بعض الصعوبات نظرا لأن الكتاب في العصور الوسطى قد قدروها مابين مكة والمدن المختلفة

== ذلك لم نسمع عنهم شيئا .
محمد كمال الدسوقي ، تاريخ أوروبا في العصر الحديث ، مطبعة النهضة ، ص ٢١ ، مجلة كلية الشريعة بجامعة أم القرى ، العدد الثاني من السنة الثانية عام ١٣٩٦ هـ ، ١٣٩٧ م ، ص ٣٩٧ .

(١) محمد فريد وجدى ، مرجع سبق ذكره ، جـ ٢ ، ص ٥٨٤ .
، سعاد ماهر ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ١٢٦ - ١٢٧ .
، عبد المنعم النمر ، مرجع سبق ذكره ، صفحات : ٣٣٢ - ٣٣٣ - ٣٣٨ - ٣٣٩ .

مما يضطرنا الى عمل حساب مابين مكة وجدة وفصله من هذه الأرقام ، فالجزيري مثلا في كتابه : " درر الفوائد . . . " يذكر المسافات بين مكة وكثير من المدن الاسلامية ويقدرها بالفرسخ وسنقتصر على ذكر بعض الموانيء مثل عدن وهرمز والطور "١" والسويس ، فعلى سبيل المثال يذكر أنه بين مكة وعدن ١٤٣ فرسا أي مايعادل ٥٢٢ ميلا علما بأن المسافة بين مكة وجدة ٥٥ ميلا فتصبح المسافة بين عدن وجدة ٥٢٢ - ٥٥ = ٤٦٧ ميلا .

فبين مكة وظفار ١٢٣ فرسخا ، أي مايعادل ٤٢٩ ميلا .

فتصبح المسافة بين جدة وظفار : ٤٢٩ - ٥٥ = ٣٧٤ ميلا .

وبين مكة وعيذاب $\frac{١}{٣}$ ٧٤ فرسخ وتساوي ١٢٤ ميلا .

فتصبح المسافة بين جدة وعيذاب : ١٢٤ - ٥٥ = ٦٩ ميلا

وبين مكة والطور : $\frac{١}{٣}$ ٢٦٦ فرسخ تساوي : ٨٠٠ ميل .

فتصبح المسافة بين جدة والطور : ٨٠٠ - ٥٥ = ٧٤٥ ميلا .

وبين مكة وهرمز : ٦٩٠ فرسا ، أي : ١٠٧٠ ميلا .

---

(١) عبد القادر الجزيري ، درر الفوائد المنظمة في اخبار الحاج وطرق مكة المعظمة ، القاهرة عام ١٣٨٤ هـ ، ص ٤٤٣ .

فتكون المسافة بين جدة وهرمز : ١٠٧٠ - ٥٥ = ١٠١٥ ميلا

وبذلك تصبح المسافات بين جدة وغيرها من الموانئ كما يلي :

المسافة بين عدن وجدة	=	٤٦٧ ميلا "١"
وبين ظفار وجدة	=	٣٧٤ ميلا .
وبين عيذاب وجدة	=	٦٩ ميلا .
وبين الطور وجدة	=	٧٤٥ ميلا .
وبين هرمز وجدة	=	١٠١٥ ميلا "٢"
وبين جدة والسويس	=	٧٩٩ ميلا .

---

(١) المرجع السابق : ص ص ٤٤٢ - ٤٤٣.

(٢) المرجع السابق : ص ص ٤٤٢ - ٤٤٣ .

غارات بني ابراهيم على جدة بزعامة أمير ينبع وأمير خليص :

بنو ابراهيم من أشهر القبائل التي تسكن يومئذ بين ينبع ومكة المكرمة ، وكانت السلطات المصرية توكل اليهم حراسة قافلة الحج المصري في بعض مراحل الطريق وفيما بين عامي : ٩٠٧ هـ ٩١١ هـ (١٥٠١ - ١٥٠٥م) قام اعراب بني ابراهيم بكثير من أعمال السلب والنهب لحجاج بيت الله الحرام متضامنين مع أمير ينبع يحيى بن سبع ومالك بن نويره أمير خليص "١" ، وتفصيل ذلك أنه عندما تولى السلطان قانصوه الغوري عام ٩٠٦ هـ (١٥٠٠م) على مصر بعث بخلعه الى الشريف هزاع بن محمد بن بركات برفقة أمير الحج بتوليه أميرا على مكة "٢" وقد فعل ذلك السلطان الغوري بسبب قصة قديمة حصلت للشريف هزاع وأخيه محمد . أورد نصها لتوضيح الموقف الذى كان بين الأخوين وماجره على أهالي جدة ومكة وعلى الحجاج من اعتداء القبائل المجاورة وهذه هي القصة كما وردت في مخطوط " روح الروح .. " وهي أن العادل طومان باى صاحب مصر لما تولى الملك بعد الأشرف جنبلاط طرد رجلا من الأمراء يقال له (قانصوه المحمدى) ويعرف (بالبرج) فخرج الى مكة فلم يلتفت اليه أحد من كبراء مكة

---

(١) مصطفى رمضان ، فائق الصواف ، مرجع سبق ذكره ، ص ٦ .

(٢) عبد القادر الجزيرى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٤٩ .

١٠ احمد السباعي ، تاريخ مكة ج ٢ . ص ص ٢٨٠ - ٢٨١

ولا الشريف ولا القاضي ولا غيرهما خوفا من السلطان طومان باى ، وبعد أن توفي طومان باى وتولى بعده الأشرف قانصوه الغورى ليلة عيد الفطر عام ٩٠٦ هـ (١٥٠٠م) أرسل القاصد "١" يكتب الى قانصوه البرج المقيم بمكة وجعله نائب الشام ، فلما وصلت كتبه بذلك وهو بمكة في أول ذى القعدة جاءه الشريف بركات والقاضي أبو السعود بن ظهيره للسلام عليه فلم يأذن لهما وكان في نفسه شيء لعدم لقائهما له عند قدومه مطرودا ، وكان الشريف هزاع يومئذ بمكة فقابله قانصوه البرج على أن يجعل اليه ولاية مكة ويخلع أخاه بركات عنها وأمره بالخروج الى ينبع وأرسل الى أمير الحج المصرى أن يوجه الى الشريف هزاع خلعة أخيه بركات ، وألبس أخاه (الجازاني) الخلعة التي هو كان يلبسها مع أخيه بركات "٢" ، وبعد ذلك توجه مع الركب المصرى مائة

---

(١) اعتقد أنه يعني بالقاصد هنا : الرسول أو حامل البريد .

(٢) عيسى بن لطف الله بن المطهر ، روح الروح فيما حدث بعد تمام التاسعة من الفتن والفتوح ، نسخة مصورة عن مخطوط بمعهد احياء المخطوطات العربية ، القاهرة ، ق ٠ ق ٤ - ٥ .

، يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي ، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ، تحقيق سعيد عاشور عام ١٣٨٨هـ القاهرة : جـ ٢ ، ص ص ٦٢٦ - ٦٢٧ .

فارس من بني ابراهيم فخرج بالتالي الشريف بركات لملاقاة أخيه عند وادى مر وتقابل الجيشان فانكسر الشريف هزاع وقتل أتباعه من المصريين ومن بني ابراهيم ، عند ذلك هجم الركب المصرى على الشريف بركات مع هزاع وقتل ابنه أبو القاسم واستولى على قصر الشريف بركات ومابه من أمتعة وأموال ونساء وأطفال ثم غادر المكان الى مكة . "١"

أما الشريف بركات فقد فرّ الى جدة ونهبها وأصبح الناس خائفين من السلب والنهب من قبل العربان المجاورة وخاصة بني ابراهيم ، ومن هنا جاءت المآسي المتكررة التي لحقت بجدة منذ هذا التاريخ بسبب الصراع بين الشريف وأعدائه والتي ظلت حتى أتم المماليك بناء سور حول جدة ،

أما صاحب كتاب (درر الفوائد ..) فيعطينا معلومات مفصلة عن أسباب عداء أمير ينبع وتحريضه لعربان بني ابراهيم للهجوم على جدة ومكة ويأتي لنا بأحداث مبكره منذ عام ٩٠٢ هـ (١٤٩٦م) فيذكر

---

(١) عيسى بن لطف الله بن المطهر ، مخطوط سبق ذكره ، ق . ٤-٥ .

ان يحيى بن سبع أمير ينبع ذهب الى السلطان قايتباى طالبا منه "١" تثبيته في أمرة ينبع التي كان والده أميرا عليها فلم يوافقه السلطان على ذلك وجعلها تلحق أمير مكة مما جعله يعود غاضبا من عنده ، وفي أثناء عودته مرّ على مكان يوجد به مراع فذبح الثيران التي كانت تجر السواقي ورمى بعضها في الفساقي "٢" .

وأعتقد أن هذه الرواية صحيحة لأن أمير ينبع وقبائل بني ابراهيم قد انضموا الى جانب الشريف هزاع ضد أخيه بركات واستمر الحال بينهم حتى عام ٩٠٧ هـ (١٥٠١م) وبعد ذلك توسط بينهما عمهما ابراهيم في طلب الهدنة من أجل تلطيف الموقف لتمكين الحجاج من أداء الفريضة والأمان فاتجه عمهما الى (جدة) حيث كان يقيم بركات

----

(١) عبد القادر بن فرج ، مخطوط سبق ذكره ، ص ص ٢٠ - ٢١ ، ابن اياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، القاهرة ، عام ١٩٦١م ، جـ ٤ ، ص ص ١٠٤ - ١٠٥ .

(٢) كلمة فسقية : تطلق على النافورة وأظنه هنا لا يقصد بكلمة فساقي نافورات وانما يقصد بها ساقية أو مجرى ماء .

وأبلغه بأن أخاه الشريف هزاع يستعد لقتاله وعرض عليه بأن يدفع له أخوه هزاع ٣٠٠٠ دينارا قبل حلول يوم عيد الأضحى وذلك لكي تهدأ الحرب بينهما ، أما اذا لم يقبل فان عمه في حل منه فقبل بركات ذلك وخرج هزاع من مكة صحبة الركب الشامي عندها عاد بركات الى مكة ودخلها في موكب عظيم .

بعد ذلك كان قد وصل الى مكة سلطان البحرين والقطيف في عدد كبير من عسكره بلغ عددهم ٥٠ ألفا ، لأن الشريف بركات كان قد طلب منهم المساعدة ضد بني ابراهيم "١" ودارت المعركة بين العسكر الوافد الى مكة وعسكر السلطان بقيادة خاير بك المعمارى وبين بني ابراهيم وأميرهم يحيى بن سبع ومالك بن نويره أمير خليص وقتل من بني ابراهيم عدد كبير وفرّ ابن سبع وذهب الأمير خايربك المعمارى الى القاهرة ومعه ٥٠ رأسامن "٢" قتلوا في المعركة مرفوعة على الرماح

---

(١) عبد القادر بن فرج ، مخطوط سبق ذكره : ص ص ٢٠-٢١ ، ابن اياس ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ١٠٤ - ١٠٥ .

(٢) ويعود ابن اياس في صفحة (١١٦) ج ٤ فيذكر ان عدد الرؤوس التي أحضرها خايربك ٨٠٠ رأس ويبدو أن هذا العدد مبالغ فيه .

ففرح السلطان بذلك وأمر بتزيين البلاد وبتعليق تلك الرؤوس على أبواب القاهرة وأكرم السلطان كل من شارك من الأمراء في هذه المعركة ، ولكنه لم يسر كثيرا برجوعهم لأنه كان يود أن يتتبعوا ابن سبع ويبيدوا قبائل بني ابراهيم عن آخرهم لما فعلوه في البلاد من قتل وظلم وفساد ويعتبر البعض ان هذه المعركة بمثابة الفتح الثاني لمكة في الاسلام لأن الحج كاد أن ينقطع من جراء ماعملته هذه القبائل في البلاد ."[1]

---

(١) ابن اياس ، مرجع سبق ذكره ، جـ ٤ ، ص ١١٦ .

حملة قيت الرجبي للدفاع عن جدة ضد بني ابراهيم عام ٩٠٨ هـ :

لقد تعرضنا في المبحث السابق للغارات التي قامت بها قبائل بني ابراهيم على منطقة الحجاز بصفة عامة وعلى جدة بصفة خاصة اذ قتلت الأهالي ونهبت أموالهم ، كما قتلت الحجاج وسلبت قوافلهم بمساعدة يحيى بن سبع أمير ينبع ومالك بن نويرة أمير خليص اذ استغلوا الخلاف الذى كان قائما بين الأشراف في الحجاز وعادوا مرة أخرى الى الاغارة على جدة ومكة .

وعندما وصلت الأخبار الى السلطان الغورى جهز ألف فارس غير الرماة والمشاة وجعل عليهم الأمير قيت الرجبي قائدا للحملة ، وكان ذلك عام ٩٠٨ هـ (١٥٠٢م) ، فلما علمت تلك القبائل بقدوم الحملة فروا من ينبع وأخذوا يفاوضون الأمير قيت الرجبي بكتابة العهود والمواثيق وأنهم لن يهاجموا القوافل ولن يتعرضوا لجدة بعد ذلك وكانوا غير صادقين في ذلك "١" .

---

(١) عبد القادر بن فرج ، مخطوط سبق ذكره ، ص ١٦ .
عبدالله بن محمد الفاكهي ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٤٣ .
، علي بن حسين السليماني ، العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ، ص ٥٣ .
، عبد القادر الجزيرى ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٣٥٣-٣٥٤
، شمس الدين محمد بن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ، ص ٢٦١

ولكن الأمير قيت الرجبي اطلع عليه هذه الخدعة وبعث للسلطان الغوري يخبره بذلك فطلب منه السلطان أن يحلفهم الأيمان العظيمة بأن يستمروا في الطاعة ويتركوا أعمال السلب والنهب التي كانوا يقومون بها . "١"

وبعد ابرام هذه المعاهدة عاد الجنود الى مصر على أنهم انتهوا من هذه المشكلة وحل الموضوع سلميا ، ولكن هذه القبائل خدعت الأمير قيت ونكثت المعاهدة وخرجت على أهل مكة وجدة ونهبوهم واستباحوا أموالهم ولكن استطاع الأمير قيت الرجبي قائد هذه الحملة التغلب عليهم وصدهم على أعقابهم كما قام الخواجة "٢" محمد بن يوسف القاري بمن معه

---

(١) عبد القادر بن فرج ، مخطوط سبق ذكره ، ص ١٦ .
، الفاكهي ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٤٣ .
، علي بن حسين السليمان ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٣
، عبد القادر الجزيري ، مرجع سبق ذكره ، ص . ص : ٣٥٣ - ٣٥٤ .

(٢) الخواجة : هي كلمة من أصل فارسي ، ومعناها سيد بالعربية وكانت تطلق في هذه الفترة على التجار بصفة خاصة .

من أهالي جدة من التجار وغيرهم بمحاولة رد هذه الغارات والدفاع عن جدة اذ كان له مركبا راسيا في ميناء جدة فما كان منه الا أن جمع فيه الفقراء والنساء والعاجزين حتى يأمن عليهم من شر هؤلاء المعتدين .

وبهذه الموقعة استطاع الأمير قيت أن يحرر مكة وجدة من هؤلاء المعتدين وأن يأسر أخوة الجازاني وهم بركات ، وقايتباى ،ولكن الجازاني ظل هاربا الى أن بعث اليه السلطان الغورى من قبض عليه وقتله عام ٩١٠ هـ (١٥٠٤م) وعزل السلطان الغورى يحيى بن سبع عن أمرة ينبع وولى مكانه (هجار بن دراج) وكان السلطان قد بعث بحملة مساعدة لقيت الرجبي بقيادة خاير بك استطاعت أن تهزم ابن سبع وتقتل انصاره ، وبعد ذلك عاد الشريف بركات الى مكة بعد أن تحالف مع اخوته عام ٩١٢ هـ (١٥٠٦م) ، ولكن عاد السلطان الغورى فعفى عن [1] ابن سبع وأعاد الشريف بركات الى الامارة في مكة عام ٩١٣ هـ (١٥٠٧م) عندما جهز السلطان الغورى حملة بقيادة الأمير علي المسلاتي وتوجهت الحملة في عدد من

---

(١) عبد القادر بن فرج ، المرجع السابق ، ص.ص ١٧ - ١٨ ،
، علي بن حسين السليمان ، المرجع السابق ص ص ٥٣-٥٤
، احمد حسين ،موسوعة تاريخ مصر ، ج ٢ ، ص ٧٩٤ .

الأغربة "١" والبراشي "٢" عن طريق البحر الأحمر فوصلوا الى ينبع وقاتلوا هذه القبائل المعتدية وأحرقوا بلادهم بالنار ثم عادوا الى جدة وأقاموا بها . "٣"

---

(١) الأغربة : مفردها غراب ، وهي نوع من أقدم أنواع السفن الحربية كانت معروفة منذ زمن الرومان وغيرهم ، وظلت الى الدولة العثمانية وسميت بذلك لطولها وسوادها نتيجة لطلائها بأنواع الدهانات المانعة للماء / محمد عبد العال ، البحر الأحمر ، ص ١٠٣ .

(٢) البراشي : مفردها : برشه ، وترجع الى الأصل الايطالي وهي نوع من القوارب الصغيرة بالمجداف . محمد عبد العال ، المرجع السابق ، ص ١٠٣ .

(٣) عبد القادر بن فرج ، المرجع السابق ، ص ص ١٧ - ١٨ .
، علي بن حسين السليمان ، مرجع سبق ذكره ، ص . ص ٥٣ - ٥٤ .
، احمد حسين ، مرجع سبق ذكره ، جـ ٢ ، ص ٧٩٤ .

وهكذا نرى من العرض السابق أن غارات بني ابراهيم علــــى جدة ومكة نشرت الخراب والدمار في منطقة جدة ومكة وكانت من العوامل التي كلفت الدولة العناء الكثير في وقت كانت فيه في أمس الحاجة الـــى توفير قوتها لمجابهة البرتغاليين في البحر الأحمر والبحار الشرقيـــة ويلاحظ أيضا ان هذه الغارات كانت من العوامل الدافعة نحو بنــــاء سور حول جدة بالاضافة الى العامل الرئيسي وهو الهجوم البرتغالي .

وقد أوضحنا فيما سلف موضوع غارات بني ابراهيم .

وفيما يلي ، نلقي الضوء على الزحف البرتغالي على البحـــار الشرقية ، ودوافعه ، وأثر ذلك على ميناء جدة .

بداية الزحف البرتغالي وأثره على جدة :

ان ظهور البرتغاليين في المياه العربية وتهديدهم لتجارة الشرق لم يكن مصادفة ولم يكن تخطيط وقته ، وانما كان مخططا قديما يرجع الى ماقبل الحروب الصليبية(١) اذ لم تكن تلك الحروب الا نتائج لمخططات مدروسة للاستيلاء على البلاد الاسلامية والسيطرة على مداخل التجارة في البحار العربية ، وكان مخططهم مدفوعا بعدة عوامل تتلخص في عاملين رئيسيين :

العامل الديني : وهو العداء للمسلمين ورغبتهم في القضاء عليهم وضرب الأماكن المقدسة في الحجاز .

والعامل الآخر : العامل الاقتصادى : الذى دفعهم للحصول على ثروات الشرق وضرب الهيمنة الاسلامية على التجارة الشرقية . "٢"

ومهما تعددت الشروح والأقاويل عن أسباب قيام البرتغاليين بحركتهم الهائلة للالتفاف حول افريقيا ، فاننا نجد أن الدافع الحقيقي لهذه المغامرة هو مواجهة الاسلام في عقر داره ، وهذه فكرة سيطرت على العالم الأوروبي المسيحي منذ زمن طويل وازدادت حماستها في

(١) د. عطية القوصي ، تجارة مصر في البحر الاحمر ، ص ١٥٢

(٢) مصطفى رمضان ، فائق الصواف ، مرجع سبق ذكره : ص ص ٤ - ٥ .

القرن العاشر الهجرى (١٦م) وأسهفت البابوية والكنيسة الكاثوليكية دعايتها الروحية على هذه الجهود وأيدتها في جميع مراحلها"[١] ، دون تردد ، ففي عام ٨٥٩ هـ (١٤٥٤م) أصدر البابا نيقولا الخامس مرسوما بعثه به الى هنرى الملاح بهذه العبارة المعبرة :

" ان سرورنا لعظيم أن نعلم أن ولدنا العزيز هنرى أمير البرتغال قد سار في خطى أبيه الملك جون بوصفه جنديا قديرا من جنود المسيح ليقضي على أعداء الله وأعداء المسيح من المسلمين والكفرة .. " ومضى البابا نيقولا (Nigola) الخامس في نفس هذا المنشور يقرر : " أنه منح هنرى الملاح الحق في أن يغزوا ويحتل ويخضع جميع الشعوب والأقاليم التي يسودها حكم أعداء المسيح وأن يحتل ويحوز البحار اللازمة للقضاء على انتشار طاعون الاسلام " ... كما ضمن العفو عند حساب اليوم الآخر والفوز بالجنة لكل من يشترك في هذه الحملات .

وهكذا أضفت البابوية على هذه الحملات طابعا دينيا وقد تبع ذلك أن أصدر البابا كاليكمستوس (Calicamstos) الثالث

---

(١) نوال صيرفي ، رسالة ماجستير مقدمة من جامعة أم القرى ، بعنوان : " النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجرى " ص ص ٥٥ - ٥٧ .

عام ٨٦١ هـ (١٤٥٦م) مرسوما آخر بنفس المعنى بالاضافة الى ثلاثة مراسيم أصدرها البابا اسكندر السادس عام ٨٩٩ هـ (١٤٩٣م) وهكذا وبمضي الزمن تطلع البرتغاليون الى كشف طريق بحرى متصل الى الهند بالطواف حول شواطيء القارة الأفريقية تمتد جنوبا وعبر الملاحون البرتغاليون خط الاستواء عام ٨٧٦ هـ (١٤٧١م) وتأكدوا أن القارة الافريقية تمتد جنوب هذا الخط وان الملاحة في هذه المناطق ليست عملية انتحار كما كان يعتقد الكثيرون وبعد سنتين وصلوا الى مصب نهر الكونغو واحتكرت البرتغال الحق في الملاحة الساحلية بمحاذاة الساحل الافريقي حتى غينيا ولم تسمح لرعايا الدول الأخرى بالملاحة في هذه المناطق الا بتصريح خاص يصدر من لشبونة وكسب البرتغاليون الكثير من تجارة السواحل الافريقية وانفتح الطريق أمامهم رحبا فسيحا لمزيد من الثراء والقوة والمجد وبدا لهم أن يحصلوا لأنفسهم على المعلومات التي توصل اليها العرب في فنون الملاحة البحرية كي يكفلوا لأنفسهم "٢" مزيدا من النجاح والتوفيق .

----

(١) عبد العزيز الشناوى ، أوروبا في مطلع العصور الحديثة ، القاهرة ، ط ٣ ، لا توجد سنة الطبع . ص: ١١٦-١١٨ .

(٢) عبد العزيز الشناوى ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ١١٨-١١٩

ولا شك أن محاولة التقليل من شأن الدافع الديني وراء حركة البرتغاليين الكشفية هو أمر أصبح ينافي الوقائع والحوادث في تلك الفترة ولا يفسرها التفسير الصحيح فقد سيطرت على البرتغاليين في القرن العاشر الهجرى فكرة تحويل أعدائهم المسلمين الى المسيحية في كل مكان يتواجدون فيه سواء في آسيا أو افريقيا ، وفسر ذلك المؤرخ المسلم المعاصر زين الدين بقوله : " ثم أن بغيتهم العظمى وهمتهم الكبرى قديما وحديثا تغيير دين المسلمين وادخالهم في النصرانية نعوذ بالله من ذلك " "١"

وهنا يلاحظ الباحث علاقة طرد المسلمين من الأندلس بالتفاف البرتغاليون حول العالم الاسلامي ففي نهاية القرن الثامن الهجرى (١٤م) أخذ الضعف يدب في دولة الاسلام بالأندلس بينما ازداد المسيحيون قوة . وما أن قضى المسلمون في مصر والشام على فلول الصليبيين حتى أخذ هؤلاء يعيدون الكرة مرة أخرى مع مسلمي الأندلس الذين تفاقمت شرورهم فيما بينهم وأخذ نفوذهم في الانحسار أمام قوة الصليبيين واتحادهم . وفي عام ٨٩٨ هـ (١٤٩٢م) انقض الصليبيون على مملكة غرناطة آخر الممالك الاسلامية بالأندلس وقضوا عليها لتبدأ مرحلة تتبع المسلمين في كل مكان في البر وفي البحر والى شمال افريقيا ومن ثم

---

(١) نوال صيرفي ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٧ .
(٢) زاهر رياض ، استعمار القارة الافريقية واستقلالها ، ص ١٤٩ .

التفكير في تطويق المسلمين من الجنوب ونشر المسيحية بينهم لكي لا يفكروا بالعودة الى الأندلس مرة أخرى ، وهكذا أصبحت اسبانيا والبرتغال نصيرة المسيحية المتعصبة وداعيتها في القرن العاشر الهجرى (١٦م) "١"

وفي عام ٩٠٣ هـ (١٤٩٧م) أعد البرتغاليون ثلاث حملات بقيادة فاسكودى جاما (Fascodigama) بعد أن توفرت لهم المعلومات للوصول الى الهند عبر الطريق الذى حاول اكتشافه كل من هنرى الملاح وبارثليميو دياز Bartelimo diaz فوصل الى رأس الرجاء الصالح وعاد الى ناحية اليسار على الساحل الشرقي لافريقيا وقد فطن التجار المسلمون في تلك المنطقة الى هدف البرتغال من هذه الرحلات وخشي المسلمون منهم على التجارة الاسلامية فلم يدلوهم على ذلك الطريق المؤدى الى الهند وتكرر ذلك معه في كل ثغر مر به (٢).

والآراء تتعدد حول وصول فاسكودى جاما الى الهند ، فهناك رأى يذكر أن الربان الذى دلهم على الطريق من أحد البحارة الهنود ويطلق عليه اسم " المعلم كان كان " ولكن الرأى الصحيح

---

(١) المرجع السابق : ص ٥٨ .
حسين مؤنس : الشرق الاسلامي ، ص ٢٨
(٢) يسرى الجوهرى : الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية ، ص ١٥٧
السيد رجب حراز : بريطانيا وشرق افريقية ، ص ص ٢-٤

أن الذى دل فاسكودى جاما الى شواطيء الهند هو الملاح المسلم أحمد بن ماجد "١" بدليل أن كل المصادر والمراجع ذكرته ، ولم يذكر المرشد الآخر الا مصدر ضعيف "٢" ، ولكن ذكرته لاستعرض الرأيين بين يدى القارىء .

وقصة اشتراك ابن ماجد أن ملك مالندى قد كلف أحمد بن ماجد الملاح العربي الذى كان في مالندى ليدل البرتغاليين على الطريق الى الهند ، وقد ذكر الشيخ النهروالي في كتابه : " البرق اليماني .. " أنه " وقع أول القرن العاشر من الحوادث الفوادح النوادر دخول (الفرتغال) "٣" اللغين من طائفة الملاعين الى ديار الهند وكانت طائفة منهم يركبون من زقاق سبته في البحر ويلجون في الظلمات ويمرون بموضع قريب من الساحل في مضيق أحد جانبيه جبل والجانب الثاني بحر الظلمات في مكان كثير الأمواج لا تستقر

---

(١) قطب الدين النهروالي ، البرق اليماني ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ١٨ - ١٩ .

، مجلة تراث الانسانية ، مرجع سبق ذكره ، جـ ٥ ، ص ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

جورج فاضلو حوراني : العرب والملاحة في المحيط الهندي . ص ٢٢٧

، يحيى بن الحسين ، مرجع سبق ذكره ، جـ ٢ ، ص ٦٣٠

(٢) مجلة تراث الانسانية ، مرجع سبق ذكره ، جـ ٥ ، ص ص ٢٧٩-٢٨٠

د. عبد الرحمن حميدة : اعلام الجغرافيين العرب ، ص ٤٧٢

(٣) الفرتقال : ويقصد بهم البرتغال .

به سفائنهم وتنكسر ولا ينجوا منهم أحد ، واستمروا على ذلك مدة وهم يهلكون في ذلك المكان ولا يخلص منهم مركب الى الهند فلا زالوا يتوصلون الى معرفة هذا البحر الى أن دلهم شخص ماهر يقال له : (أحمد بن ماجد) صاحبه كبير الفرنج وعاشره في السكر فعلمه الطريق في حالة سكر " "١"

والواقع أن رواية قطب الدين النهروالي لا يمكن أن نأخذها برمتها وخاصة فيما يتعلق بذكره عن ابن ماجد أنه صاحب فاسكو دى جاما وشرب معه مسكرا ، ونظرا لفقدان وعيه دلهم على الطريق الصحيح ، فلا يعقل أن فاسكو دى جاما يأخذ بارشاد رجل ليس في حالة وعي ، والأقرب الى الصواب أن ابن ماجد اعتبر تكليف سلطان مالندى له عملا مشرفا فقام بمهمته خير قيام دون أن يدرى النتائج العالمية الخطيرة التي ستترتب على هذا العمل وأهمها زوال سيطرة المسلمين في البحار الشرقية ، ويبدو أن قطب الدين النهروالي أورد هذه الرواية في

---

(١) قطب الدين النهروالي ، البرق اليماني ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ١٨ - ١٩ .

، مجلة تراث الانسانية ، مرجع سبق ذكره ، جـ ٥ ، ص ص : ٢٧٩ - ٢٨٠ .

، يحيى بن الحسين ، مرجع سبق ذكره ، جـ ٢ ، ص ٦٣٠

مجال الدفاع عن ابن ماجد ولم يكن في استطاعة فاسكو دى جاما أن يصل الى الهند الا بواسطة دليل "١" ، فما كان من مالك مالندى الا أن بعث له بأحمد بن ماجد الملاح العربي المسلم لأن تلك الطريق لا يسلكها الا البحارة العرب والمسلمون وملاحوهم فوجد فاسكو دى جاما ضالته في هذا البحار لأنه دهش من سعة علمه عندما أراه خريطة الساحل التي عليها خطوط الطول والعرض بالتفصيل . والاسطرلاب والالات الفلكية ولم يعجب عندما رأى ذلك بل أخبر دى جاما بأنه يوجد للملاحين العرب في البحر الأحمر مثل هذه الأجهزة وهذا مما جعل فاسكو دى جاما يحتفظ بهذا المعلم المسلم وأبحر متوجها الى الهند فاجتاز الخليج الكبير في اثنين وعشرين يوما حيث وصلت الحملة بسلام الى ساحل الهند وذلك يعود الى جهود الملاح العظيم ، وكان لهذا الحدث تأثير خطير على الشرق فشعوب المحيط الهندى قاسوا بعدها من ويلات القرصنة "٢"

---

(١) قدرى قلعجي ، الخليج العربي ، بيروت ، عام
ص ص ٣٤٩ - ٤٥٠ .
، مجلة تراث الانسانية ، مرجع سبق ذكره ، جـ ٥ ، ص ص
٢٧٨ - ٢٧٢

(٢) احمد السيد دراج ، وسيد رجب حراز ، دراسات في التاريخ المصرى دار النهضة العربية ،القاهرة ، ص. ص : ٣٤٩ - ٣٥٠

وبعد ذلك وردت الأخبار بأن فاسكو دى جاما هاجم سفينة للغورى أمام ساحل ملبار تحمل البهارات والحجاج الهنود في طريقهم الى جدة ، وعندما دارت المعركة بين قادة السفينة والبرتغاليين أغرقت السفينة ولم ينج منهم أحد ، فاضطر الغورى أن يهدد ملك البرتغال معلنا أنهم اذا لم يكفوا عن أعمالهم الاجرامية في البحر الأحمر سيقوم بقتل جميع الفرنج المقيمين بدولته واغلاق كنيسة القيامة "١"

ونتيجة لهذه الاضطرابات تدهورت الأوضاع الاقتصادية في الشرق الاسلامي بصفة عامة والبلاد العربية بصفة خاصة بعد احتكار البرتغاليون للتجارة الشرقية وتحويلها الى طريق رأس الرجاء الصالح والسيطرة على مداخل البحار الشرقية حيث سيطروا على مدخل البحر الأحمر فاحتلوا سوق قطر لهذا الغرض وحاولوا احتلال عدن وتحالفوا "٢" مع الحبشة لأن البلاد العربية كانت عبارة عن الجسر الذى يربط بين الشرق والغرب وبصرف النظر عما كانت تدره عليهم هذه

---

(١) احمد دراج ، المرجع السابق ، ص ص ٣٤٩ - ٤٥٠ .
احمد بن ماجد : ثلاث ازهار في معرفة البحار ، ص ص ٨٦ - ٨٧ .
انور عبد العليم : ابن ماجد الملاح ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، ص ص ٥١ - ٥٥ .

(٢) قدرى قلعجي ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٥٧ .
، مجلة كلية الشريعة ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٤١١-٤١٢
، سيد رجب حراز ، عصر النهضة ، ص ص ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧

التجارة من موارد مالية ، فهي كانت تنقل لهم حضارات الدول الأخرى ولكن البرتغاليين منعوا عنهم هذا بالتفافهم حول رأس الرجاء الصالح وتحويل طريق التجارة اليه "١" بدلا من نقل بضائع الهند الى السويس ومنها الى الاسكندرية لتصل الى أوروبا وأصبحوا يقصدون طريق رأس الرجاء الصالح مما جعل الدول الاسلامية تخسر خسائر فادحة وذلك بسبب مالحق بالموانئ الاسلامية من أضرار فادحة من جراء الاعتداءات البرتغالية عليها فجفت مواردها التجارية "٢"

ولقد تعاون البرتغاليون في هذه الفترة مع فرسان القديس يوحنا "٣" بجزيرة رودس حسب خطة محكمة اذ أنه في الوقت الذى

---

(١) قدرى قلعجي ، المرجع السابق ونفس الصفحة .

، مجلة كلية الشريعة ، المرجع السابق ونفس الصفحات .

(٢) Moreland, w.H., the ships of Arabian sea about A.D. 1500 the Journal of the Royal Asiatie Society of Great Britain and Ireland, London 1031939. P.12.

، سعاد ماهر ، مرجع سبق ذكره ، صفحات : ١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٣٢ .

(٣) فرسان القديس يوحنا هم من فرسان العصور الوسطى وقد سبق التعريف بهم في ص (٣١) .

تقوم فيه سفن البرتغال بمهاجمة التجارة المملوكية في البحر الأحمر كان قراصنة الفرنج بمساعدة فرسان القديس يوحنا يقومون بنفس الهدف في البحر الأبيض المتوسط لأن البرتغاليين بعد أن ثبتوا أقدامهم في الهند أخذوا يهاجمون السفن المحملة بالتوابل ليحولوا خط سيرها عن جدة والأسواق الاسلامية الى الطريق الذى توصلوا اليه مما جعل البضائع الهندية ترتفع أسعارها فكان التجار العرب يحصلون على قنطار الفلفل من الهند بمبلغ يعادل دينارين ونصف أو ثلاثة دنانير ونصف ثم يبيعونه بأسواق الاسكندرية مابين مائة وثمانية أو مائة وعشرة دنانير بينما يباع في أسواق لشبونة بسعر يتراوح بين ٢٠ - ٤٠ دينارا وبذلك تكون البرتغال قد نجحت في احتكار تجارة الشرق وحرمان المسلمين من أهم مصدر لثرواتهم مما سبب لهم ضعفا اقتصاديا ترتب عليه الضعف السياسي ، والعسكرى كما سنرى فيما بعد .

الفصل الثاني

جدة في عهد حسين الكردي
(٩١١ - ٩٢٣ هـ)

- كساد التجارة بعد الغزو البرتغالي .
- بناء سور جدة .
- حملة نائب جده على الهند (٩١٤ - ٩١٥ هـ) .
- نائب جده يقوم بتحصين ثغور اليمن .

كساد التجارة في جدة بعد الغزو البرتغالي :

لم يكن ميناء جدة ذا شهرة عالية قبل القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى ، بل كان ميناء عاديا ليس له أهمية لدى الحكام في ذلك الوقت ، وقد أجمع المؤرخون المعاصرون بأن التحول الذى طرأ على تجارة البحر الأحمر في مطلع القرن التاسع الهجرى ، الخامس عشر الميلادى ، حيث أصبح ميناء جدة بالحجاز هو الميناء الرئيسي بدلا من ميناء عدن الذى كانت ترسوا به سفن الهند والصين التي كانت تأتي محملة بمتاجر الشرق الأقصى وأهمها البهارات ،

كل هذه الأسباب جعلت السلطات المملوكية تضع ميناء جدة تحت سلطتها الفعلية والحكم المصرى المباشر اذ أصبحت تجارة هذا الميناء تتجمع في الاسكندرية وأخذ الكثير من التجار يعملون لحساب السلطان "١" بحيث حققوا ربحا ضخما من تجارة البهار والتوابل "٢" ، حتى أن سلاطين المماليك احتكروا هذه التجارة لحسابهم الخاص اذ كانت تدر على سلاطين المماليك أرباحا وافرة ولكنها كانت تغالي في أثمان

---

(١) احمد دراج ، سيد رجب حراز ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ١٨٥ - ١٨٦ .

(٢) المرجع السابق ذكره ، ص ص ١٨٥ - ١٨٦ .

سيد رجب حراز ، المدخل الى تاريخ مصر الحديث ، ص ص ٥٠ ، ٥٢

هذه السلع وكان ذلك خطأ في حق البلاد وخاصة في عهد السلطان الغوري لأن هذه البضائع التي كانت تأتي من الهند وتسير في طريقها عبر البحر الأحمر وتتجمع في الاسكندرية تفرض على الأوروبيين فرضا وبالسعر الذى يريدونه ، والدليل على ذلك هو أن الامير (حسن الكردى) نائب جدة كان يجبى على البضاعة عشرة أمثال العشر من قيمة البضاعة لذلك اهتم سلاطين المماليك بهذا الميناء اهتماما بالغا حيث بنوا المساجد وحفروا الآبار ، وكانت السلع التي يجلبها التجار من الهند وجزر الهند الشرقية "١" مثل التوابل والأنسجة والحبوب والأصواف واللؤلؤ والمرجان والعطور والسجاد كل هذه البضائع كان لها رواج مما يشجع على العمل والاستقرار في المدينة "٢" وازدهر ميناء جدة وبقية الموانيء العربية التي كانت تصل اليها تجارة الشرق الأقصى اذ ظل سلطان مصر محتكرا لهذه التجارة بقدر كبير يصرفها بالطريقة التي تتناسب وأرباحه واستمر الحال كذلك الى نهاية القرن التاسع الهجرى ، وكانت هذه الأشياء التي سبق أن ذكرناها من

---

(١) المرجع السابق : ص ص : ١٨٥ - ١٨٦ .
علي بن حسين السليمان ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٠٢ .
، مجلة الدارة ، العدد الثاني ، السنة السادسة ، ربيع الأول عام ١٤٠١ هـ ، ص ٩٠ .

(٢) علي بن حسين السليمان ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٠٢ .
سيد رجب حراز؛ المدخل الى تاريخ مصر الحديث، مرجع سبق ذكره ص ص ٥٠-٥٢

العوامل التي جعلت أوروبا الحاقدة تغذى مشروعها الكبير بالهجوم على الشرق الاسلامي فتبحث جديا عن طريق جديد تستطيع بـه أن تلتف حول العالم الاسلامي . "١"

وكان لوصولهم للمحيط الهندى عام ٩٠٤ هـ (١٤٩٨م) كما رأينا كارثة عظمى على المسلمين ومراكزهم التجارية في الهند والسواحل التي كانت تستقبل السفن التجارية مثل ميناء الاسكندرية وميناء دمياط وميناء جدة حيث يروى لنا التاريخ أن البرتغاليين قد قاموا باحراق مدن وموانيء المسلمين على طول السواحل الافريقية الشرقية ومن موزنبيق حتى القرن الافريقي وخليج عدن حيث كانوا يحرقون ويغرقون السفن الاسلامية في كل مكان من هذه الشواطيء ومنعوا وصول تجار الشرق الأقصى الى الشرق الأدنى مما أدى الى كساد التجارة في ميناء جدة والاسكندرية ودمياط وانهيار اقتصاديات الدولة الاسلامية حتى أصبحت سفن البندقية في عام ٩٠٨ هـ (١٥٠٢م) لا تجد ماتحمله الى دولتها من التوابل والبهارات من ميناء الاسكندرية طوال العام ولكن بعد هذا التحول أصبحت القافلة الرسمية لا تزيد عن ثلاثة سفن ولا تصل الى ميناء مصر الا مرة كل عامين . "٢"

---

(١) الشاطر بصيلة ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤٥٦ .
، جلال يحيى الاستعمار والاستقلال والتخلف ، الاسكندرية عام ١٩٦٥م ص ص ٢٤ - ٢٥

(٢) الشاطر بصيلي ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤٥٦

وأصبح مجيء سفن التجار الأوروبيين الى شواطيء مصر نادرا وذلك لأن البنادقة أصبحوا لا يجدون مايأخذونه منها من التوابل وكل ذلك يرجع الى فرض الحصار البحرى الذى اقامة البرتغاليون على الموانيء العربية والاسلامية مما أدى الى ركود وكساد التجارة في هذه الموانيء. "١"

كانت هذه الحالة التي ذكرناها آنفا من العوامل التي دفعت السلطان الغورى في أن يضع سياسة جديدة وتخطيطا جديدا للدفاع عن البحر الأحمر ، وموانيه الاسلامية وخاصة ميناء جدة ، المدخل الطبيعي لمكة المكرمة وتحويلها الى خط دفاع متقدم للدفاع عن الحرمين وعن مصر واختار لتنفيذ هذه السياسة قائدا ماهرا هو حسين الكردى.

----

(١) الشاطر يصلي ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤٥٦ .
، جلال يحيى ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢٤ - ٢٥ .

بناء سور جدة عام ٩١١ هـ (١٥٠٥ م) :

كان لوصول البرتغاليين الى الشواطئ الهندية أثر مباشر على حكام الهند مما جعلهم يستنجدون بالسلطان الغوري فكان استنجادهم من بين العوامل التي دفعته لارسال حملة الى الهند لأن الدولة المملوكية كانت تعتبر من أقوى الدول الاسلامية في ذلك الوقت"[١]، هذا بالاضافة الى الأخطار المباشرة على الأراضي المقدسة الاسلامية وعلى الاقتصاد الاسلامي بصفة عامة والمصرى بصفة خاصة .

وخرجت الحملة المعدة لحماية الأراضي المقدسة والسواحل الاسلامية في ٦ جمادى الآخر عام ٩١١ هـ (١٥٠٥م) بقيادة الأمير حسين الكردى وكان الامير حسين كما يتضح من اسمه كرديا خيالا في طائفة الجراكسة وكانوا لا يعترفون به فأراد السلطان الغوري أن يحميه منهم ، كما أصدر اوامره بتعيينه نائبا على جدة وتم اعداد العمال الفنيين لاقامة سور حول جدة فأبحر هؤلاء مع الحملة ."[٢]

---

(١) السيد مصطفى سالم ، الفتح العثماني الاول لليمن ، صفحات : ٤٥ - ٦٠ - ٦١

أحمد السباعي : تاريخ مكة ج ١ ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٨٦

(٢) قطب الدين النهروالي ، الاعلام باعلام بيت الله الحرام ، ، صفحات : ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٦ .

المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك جـ ٤ ص ص ١٢٠٥ - ١٢٠٦

كما جهز معه عمارة بحرية مكونة من خمسين غرابا ليقاتل بهـــا البرتغاليين الذين أصبح خطرهم يهدد جدة وكان هذا الأمير ذو عزيمة قوية وسخاء كبير .

وخرج الكردى على رأس الحملة "١" التي ذكر ابن اياس أنها كانت من جنود الطبقة الخامسة أى من العساكر التي جددها الغورى في أيامه وكانوا يتكونون من المغاربة الذين يرأسهم أميرهم علي السلاتي ، بأش المغاربة (أى رئيسهم) ومعهم بعض أولاد الناس وبعـض مماليك سلطانية " والغالب فيهم مغاربة وعبيد سود رماه وتراكمه " خرجوا معه بدافع الانتقام من البرتغاليين الذين أخرجوهم من بلادهـم ، ولأن هوءلاء المغاربة امتازوا بأنهم بحارة ممتازين ، وكانت الدولة المملوكية تنقصها الخبرة في ميدان البحر ، ومعهم فريق من البنائين "٢" والنجارين وكثير من العمال لاقامة التحصينات اللازمة ، وبمجرد أن وصل الأميـر حسين الكردى الى جدة مسرعا منذ الوهلة الأولى على بناء سور حـول مدينة جدة في مدة سبعة أشهر (تمت في ذى الحجة عام ٩١٢ هـ) بما في ذلك الأبراج العالية ودار النيابة وجامع الميناء ومصلى العيد .

---

(١) قطب الدين النهروالي ، الاعلام ، مرجع سبق ذكره ، صفحات: ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٦ .

يحيى بن الحسين ، مرجع سبق ذكره جـ ٢ ، ص ص ٦٣٠ - ٦٣١

(٢) مصطفى رمضان ، فائق الصواف ، مرجع سبق ذكره ص ص ٦ - ٧ .

ومما هو جدير بالذكر أن الشريف بركات شريف مكة ساعد في عملية بناء السور وملحقاته وساعد في نزع ملكية بعض البيوت التي كانت قريبة من السور منها بيت الصابوني وكان في جهة السور من ناحية اليمن وبيت الدهمي في جهة الشام وصار محل البيوت آثار تدل عليها ، كما حضر الشريف بركات بنفسه عملية البناء ، وكان في بعض الأيام يقف على العمارة راكبا فرسه " فيحضر لحضوره جميع من في البلد " "١"

وبذلك يتضح لنا أن عملية تحصين جدة شارك فيها مع المصريين الشريف بركات وأهل جدة على كل المستويات ، ولعل هذا هو السبب في براعة العمارة وسرعتها في مدة وجيزة "٢"

وهناك قصة حول شدة الأمير حسين الكردى مع البنائين فيقال أن أحدهم تأخر قليلا عن موعد الحضور فلما جاء أمر حسين الكردى أن يبنى عليه ويدفن في جوف السور حيا وجعل ذلك المكان قبره الى الأبد ولو لم يتخذ الأمير حسين الشدة مع عماله وبنائيه لما تمت عمارة السور بالسرعة التي رأيناها وهي : أنه تم قبل مضي عام واحد من تاريخ البدء في بنائه . "٣"

---

(١) المرجع السابق ، صفحات : ٦ - ٧ - ٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ص ٧ - ٨ .

(٣) ابن اياس ، مرجع سبق ذكره ، صفحات : ٨٤ - ٩٥ - ٩٦ .

أما عن أبعاد هذا السور فنورد وصفه كما أتى في كتاب السلاح والعدة : كان ارتفاع السور من الأساس حتى أعلاه (١٢ ذراعا) وطول محيطه من ناحية مكة واليمن والشام ٣٠٠٠ ذراع وعرض جداره أربعة أذرع ، أما الأبراج فكانت ستة أبراج ومحيط كل برج منها ستة عشر ذراعا وارتفاعه من على وجه الأرض خمسة عشر ذراعا منها برج شامي تجاه الشمال وآخر يماني تجاه الجنوب وبرجان قبليان تجاه مكة ملاصقان لباب مكة يسمى أحدهما باب الفتوح وهو الأيمن والآخر يسمى باب النصر وهو الأيسر أما البرجان البحريان فقد نزل بهما الغواصون في البحر اثنا عشر ذراعا "١" .

---

(١) نص الشيخ عبد القادر بن فرج على أن هذا الذراع هو ذراع العمل وأضاف أنه أي ذراع العمل هذا ذراع ونصف بذراع النجار وبالرجوع الى علي مبارك في خططه وهو أهم مصدر تعرض لتقدير الأطوال تبين لنا ان ذراع النجار التي أشار اليها ابن فرج تبلغ نحو ٧٧٫٥ سم فتكون ذراع العمل التي قدر بها ابن فرج أبعاد سور جدة هي :

٧٧٫٥ × ١٫٥ = ١١٦٫٢٥ سنتيمتر ٠٠ ،

مصطفى رمضان وزميله ، مرجع سبق ذكره ، ص ٨ .

ملاحظة: ترجمة د. كامل العسلي: المكاييل والاوزان والمقاييس الإسلامية ص ٩٠

كما كان من تمام هذا العمل حفر خندق محيط بالمدينة من جميع نواحيها ، وكان جملة ماصرف على عمارة السور وملحقاته (الابراج ودار النيابة وجامعها ومصلى العيد وحفر الخندق) مائة ألف دينار غوری . "١"

أما من ناحية عدد الأبواب فقد كان لجدة تسعة أبواب ستة منها جهة البحر والباقي من ناحية البر "٢" . باب ناحية الشام ، وباب ناحية اليمن ، وباب ناحية مكة ، كما بنى حسين الكردی أيضا دارا تكون مقرا لنائب جده والتي يطلق عليها " دار النيابة " ثم حفر خندقا حول مدينة جدة ، ويذكر ابراهيم باشا رفعت أن المسافة بين السور من أقصاه الى أقصاه أی قطر السور يقطعه راكب الحصان بالسرعة المعتادة في خمسة وأربعين دقيقة كما ذكر أن ارتفاع السور على ايامه أربعة أمتار(٢).

أما صاحب الرحلة الورثيلانية فيصف السور ومابه من تجهيزات

---

(١) المرجع السابق ، ص ٩ .
، عبد القادر بن فرج ، مخطوط سبق ذكره ، ص ص ١٩-٢٠
، احمد الحضراوی ، مخطوط سبق ذكره ، ص ٥١ .
(٢) المرجع السابق ، مخطوط سبق ذكره ، ص ٦٢ .
، بطرس البستاني ، دائرة المعارف ، ج ٦ ، ص ٤٠٣ .
(٢) ابراهيم باشا رفعت : مرآة الحرمين . ص ٦٢

حربية واستعدادات "١" قائلا : (في كلا طرفيها حصار "٢" متقن البناء فيه مدافع كثيرة وعسكر لا يفارقه) ويذكر قائلا : (في الحصار الغربي منها مايستغرب وصفه من المدافع طولا وكبرا "٣" وقد كان يوجد فيها مدفعا له خمسة أفواه ، أما المؤلف الأيطالي :
(Angelo pesce) فيضيف الى وصف التجهيزات الحربية التي كان مجهزا بها السور قائلا : " يوجد أربعة جياد في أحد أركان المدينة وايضا تجاه البحر ، حيث يتصل السور مع الماء " "٤"

وكان يوجد بها بناء على شكل قلعة موضوع فيه خمسة وعشرون مدفعا من أفضل وأجود المدافع لمراقبة المدينة ، كما توجد خمسة

---

(١) الرحلة الورثيلانية ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤٣٨ .
(٢) كلمة حصار هنا معناها : الحصن أو السور لحماية المدينة .
(٣) الرحلة الورثيلانية ، المرجع السابق ، ونفس الصفحة .
(٤) Angelo pesce, op. cit., p.p. 31-32.

،احمد حسن ، مرجع سبق ذكره ، ج ٢ ، ص ٥٩٧.

. Angelo pesce, op. cit., p.p. 31-32.

مدافع على البرج القديم ومعها ثلاثون رجلا كل هؤلاء لحماية المدينة من أى اعتداء خارجي اذ يوجد عند نهاية السور حصن حرس يعرف بالسنجاكو بالاضافة الى مائة وخمسين تركيا مزودين بالمدافع والزخيرة الحربية .

وكان من بين الأسباب التي أدت الهناء السور حماية جدة من الغزو البرتغالي الذى كان ينوى ضرب جدة وغلق البحر الأحمر .

وكان الشائع في تلك الفترة ان الغرض من هجومهم على جدة هو تخريب الأراضي المقدسة وقد اتضح ذلك اثناء الكلام في الفصل الأول ، وان كان صاحب السلاح والعدة يعتقد سببا آخر لبناء السور وهو عمليات السلب والنهب التي كان يقوم بها عربان بني ابراهيم وعربان زبيد ولكن ابن فرج لم يكن على علم بالأحداث التي كانت تحيط بالعالم الاسلامي عندما ذكر أن أسباب بناء السور هو غارات بني ابراهيم فقط وأغفل السبب الرئيسي . كما ان المواطنين لم يكونوا على مستوى الأحداث والمسؤولية ويؤكد لنا ذلك مارأيناه أثناء حديثنا عن بناء السور ، كيف أن الأمير حسين الكردى كان يجبر الأهالي على التبرعات "١" وذلك لسوء الحالة الاقتصادية في الدولة المملوكية .

---

(١) عبدالقادر بن فرج ، مخطوط سبق ذكره ،ص ص ١٤ - ١٥ .
، يحيى بن الحسين ، انباء أبناء الزمان ، مخطوط سبق ذكره ق ١١٣

ويتضح لنا من عملية بناء سور جدة حقائق ، منها أن الشريف بركات ومعه جمع كبير من أهالي جدة بمختلف مستوياتهم شاركوا مع المصريين في عملية بناء سور جدة في همة ونشاط ، كذلك نلاحظ أن المصريين هم أول من وضع حجر الأساس في الاهتمام بثغر جدة وتقويته في عصر السلطان الغوري بعد أن أصبحت جدة هدف البرتغاليين ولكن متانة بناء سورها وقوته مع أبراجها العالية وخندقه المحيط به وتسليحه الأمر الذى جعل من جدة صخرة تحطمت عليها آمال البرتغاليين في نهاية العصر المملوكي وبداية العصر العثماني ."١"

وبقي بعد ذلك مسألة وهي اختلاف المؤرخين حول الزمن الذى شيد فيه حسين الكردى سور جدة .

ومن أهم الكتاب الذين ناقشوا هذا الموضوع المؤرخ الايطالي انجلوبيس في كتابه عن جدة ، وفيما يلي نورد الاختلاف حول هذا الموضوع كما اورده هذا المؤلف " أما بخصوص حسين الكردى فبعد حملة الهند توجه الى جدة ونصب نفسه حاكما على المدينة وقرر بناء حائط عظيم حولها وهذا لم يكن التحصين الأول لمدينة جدة كما شهد بذلك ناصر خسرو عام ٤٩٩ هـ (١١٠٥ م) وابن جبير في عام ٥٧٩ هـ (١١٨٣ م) ولكن التحصينات دمرت كما ذكر " لود يفيكوفارثيما "

---

(١) مصطفى رمضان ، فائق الصواف ، مرجع سبق ذكره ، ص ٩ .

(Loduvico Prthima) والذى كان في جـــدة في عام ٨٠٦ هـ (١٤٠٣م) وذلك قبل عودة حسين الكردى بعـــدة سنوات وكان هدف انشاء الحائط هو حماية السكان من غزوات البدو ، ولكن في الحقيقة كان الهدف هو حمايتها من البرتغاليين الذين يريدون الوصول الى مكة ، ولقد عين حسين الكردى لبناء هذا الحائط كل رجـل قادر وبدأ عمله فورا واضطر أن يهدم أجزاء كاملة من المدينة لبنـــاء الحائط "١" ، وكل من يعترض من أصحاب المساكن كان يقضي عليه حتى أن البعض كان يبني على منازلهم وهم داخلها وهذا ماوصفه (دورث باربوسا ، Dorth

ويذكر أنجلو بيس أن حسين الكردى طلب قبل عودته مـــن الهند من ملك الكجرات وامرائه وتجاره مبلغا كبيرا من المال لبنـــاء قلعة يشيدونها خوفا من البرتغاليين لأن هؤلاء البرتغاليين كانوا أقوياء جدا ويمكنهم تدمير (بيت محمد لانهم يعتقدون بأنه بمكة المكرمة) لان البرتغاليين يعتقدون ان قبر سيدنا محمد بمكة وان الحجـــاج يقصدونه "٢" .

وقد أدرك ملك الهند عظم قوة البرتغاليين ، لذلك اعطى حسين الكردى ثلاث سفن مليئة بالبهارات والبضائع وباعها في جدة وعمل بثمنها

---

(١) Angelo pesce, op. cit., p. 80

(٢) Angelo pesce, op. cit., p.80.

القلعة لحماية جدة من هذه الاعتداءات من قبل البرتغاليين لانهم كانوا قد بنوا قلعة في كليكوت . "١"

وهذا هو وجه الاختلاف حول بناء السور ، فبعض المؤرخون وخاصة العرب يذكرون ان حسين الكردى قد قام ببناء السور أول ماوصل من القاهرة ، ولكن نلاحظ المؤرخ الايطالي Angelo pesce يذكر أن حسين الكردى قد قام ببناء السور بعد عودته منهزمامن حملته على الهند .

ويمكن الجمع بين هذين الرأيين ، فنقول : بأنه لا مانع بأن يكون قد قام حسين الكردى بالجانب الأكبر من بناء السور قبل التوجه الى الهند وبعد عودته اتم البناء وزاد في تقويته وتدعيمه بناء على الظروف التي طرأت وهي هزيمته في الهند واحتمال مهاجمة جدة في أقرب وقت .

Angelo pesce, op. cit. p.80.

حملة نائب جدة على الهند عام ٩١٤ - ٩١٥ هـ :

بعد أن أنجز حسين الكردى عملية بناء السور وتحصينه تحصينا قويا على النحو الذى ذكرنا بحيث جعل من مدينة جدة ثغرا قويا محصنا اتجه الى الشق الثاني من مهمته التي كلفه بها السلطان الغورى وهي حملته على الهند التي أطلق عليها ابن اياس " التجريدة المعينة الى بلاد الهند " وأطلق على قائدها " باش تجريدة الهند " ولم نعرف شيئا عن عدد جنود هذه الحملة ولكنها كانت مؤلفة من المغاربة وأبناء المماليك في مصر ويعرفون بأولاد الناس ومن المماليك السلطانية والأحباش والتركمان وكان المغاربة يؤلفون أغلب أفراد هذه الحملة لأنهم كانوا من البحارة وقد شاركوا في هذه الحملة بدافع الانتقام من البرتغاليين الذين ساعدوا الأسبان في اخراجهم من ديارهم وتعقبهم في شمال افريقيا "١" ، أما عدد سفن الحملة فقد كان حوالي ثلاث عشرة سفينة وقد خرجت هذه الحملة من القاهرة في ٦ من جمادى الآخرة عام ٩١١هـ (١٥٠٥م) وقام الصناع والعمال المرافقين لها ببناء سور جدة كما سلف ذكره ثم اتجهت الحملة في أثناء سيرها الى سواكن فاستولت عليها دون حرب وأقامت بها بعض التحصينات وتوجهت بعد ذلك الى

---

(١) السيد مصطفى سالم ، مرجع سبق ذكره ، ص ٦١ .
، ابن اياس ، مرجع سبق ذكره ، جـ ٤ ، ص ص ٨٤ - ٨٥ .
، مصطفى رمضان ، فائق الصواف ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥ .

الموانئ اليمنية فمرت بجزيرة كمران ومنها الى المخا ، ثم الى عدن وأقام حسين الكردى بحملته "١" هناك بعض الوقت وقد شرح الأمير حسين لوالي عدن من قبل الطاهريين أن غرض الحملة هو التوجه الى الهند لمحاربة البرتغاليين وطلب منه أن يمده بالطعام والمؤن اللازمة فسمح له الوالي بأن يأخذ مايشاء "٢" ، واستضافه عنده ، وبعد ذلك توجه الى الهند لقتال البرتغاليين وصدهم عن الهند وتجارتها فأحرزت حملته انتصارا جزئيا أمام الأسطول البرتغالي في مياه "ديو"(٣) عام ٩١٤ هـ (١٥٠٨ م) بالتعاون مع المسلمين الهنود ، الا أن البرتغاليين سارعوا في تجميع قواتهم البحرية لمواجهة التحالف المصرى

---

(١) ابن الديبع ، قره العيون في أخبار اليمن الميمون ، تحقيق محمد بن علي الاكوع ، جـ ٢ ، القاهرة ، ١٩٧٦ م ص ٢١١
، يحيى بن لطف الله بن المطهر ، مخطوط سبق ذكره ، ق ٧ .
، يحيى بن الحسين ، مرجع سبق ذكره ، جـ ٢ ، ص ص ٦٣٥ - ٦٣٦ .

(٢) السيد مصطفى سالم ، مرجع سبق ذكره ، صفحات : ٦٠ - ٦١ - ٦٢ .
، مصطفى رمضان ، فائق الصواف ، مرفق سبق ذكره ، ص ٥
، ابن اياس ، مرجع سبق ذكره ، جـ ٤ ، ص ص ٨٤ - ٨٥ .

(٣) حسين مؤنس : مرجع سبق ذكره ، ص ٤٤
مصطفى الشكعة : الجغرافيون العرب : ص ١٠٨
بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ، ص ص ٤٢ - ٤٢

الهندى وأحرزوا نصرا حاسما في عام ٩١٥ هـ (١٥٠٩ م) وهي المعركة المعروفة في التاريخ بمعركة " ديو البحرية " تلك المعركة التي انهت عددا من السيطرة المصرية على طريق التجارة البحرى الى الهند.(١)

وكان من نتائج هزيمة معركة ديو بالنسبة للمسلمين أن قام البرتغاليون بانتصارات ناجحة في أماكن متعددة خاصة بالمسلمين ثم حاولوا الاستيلاء على عدن وحاولوا جعلها قاعدة بحرية "٢" وكان سبب انتصار البرتغاليين على المسلمين في موقعة ديو عدة أسباب منها أن الأسطول المصرى لم يتخذ الاحتياطات اللازمة بعد انتصاره على البرتغاليين ، وفي البداية لم يحاول الانسحاب الى مكان قاعدته الأساسية وظل بعيدا عنها آلاف الأميال الى العام التالي حيث استجمع الأسطول البرتغالي قوته "٣" ، مما أدى بالمصريين الى التراجع

---

(١) احمد محمود الساداتي: تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها، ص ص ٤٢-٤٤

(٢) ابن الديبع ، مرجع سبق ذكره ، جـ ٢ ، ص ٢١١ .

، يحيى بن الحسين ، مرجع سبق ذكره ، جـ ٢ ، ص ص : ٦٣٥ - ٦٣٦ .

؛ عيسى بن لطف الله بن المطهر ، مخطوط سبق ذكره ، ق ٧

(٣) الشاطر بصيلي ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤٥٤ .

توفيق اليوزبكي ، تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المماليكي ، جامعة الموصل ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م موسسة دار الكتاب صفحات: ١٣٣ - ١٤٢ - ١٤٣ .

والانسحاب من المياه الهندية وعودتهم الى البحر الأحمر وقد نجح الاسطول المصرى فعلا في رد الخطر البرتغالي عن البحر الأحمر والأراضي المقدسة ولكنه اعطى البرتغاليين الفرصة لكي يتمتعوا بالسيادة في الخليج العربي اذ كانت الدولة المملوكية في ذلك الوقت تلفظ انفاسها الأخيرة مما جعل ملك هرمز يتطلع الى الشاه اسماعيل الصفوى ويعترف له بالخضوع مما جعل موقف البرتغاليين دقيقا عام ٩٢٠ هـ (١٥١٤م) "١" لان الشاه كان حليفهم ضد العثمانيين .

----

(١) يحيى بن الحسين ، مرجع سبق ذكره ، جـ ٢ ،ص ٦٤٨ .
، يحيى بن الحسين ، مخطوط سبق ذكره ، ق ١١٣ .
، سيد رجب حراز ، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب ، ص ٧٤ .

نائب جدة يقوم بتحصين ثغور اليمن :

كانت جبرة قد أضحت مركزا حربيا هاما بعد اقامة سور حولها واقامة حامية عسكرية مسلحة بها بأحدث الأسلحة تحت قيادة نائب جدة الأمير حسين الكردى بحيث أضحت تشكل خط الدفاع الأول عن مصر والبحر الأحمر ، ولقد أعطى حسين الكردى صلاحيات هامة لتأمين ثغور البحر الأحمر في الساحل الغربي وساحل عدن ليجعل من عدن والسواحل اليمنية خط الدفاع الأول عن البحر الأحمر ومصر وبذلك تتحول جدة الى خط دفاع ثاني عن المنطقة. "١"

وفي مطلع القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى كانت اليمن موزعة بين قوى عديدة فمنطقة الشمال الجبلي بها عدد من الأئمة الزيديين المتناحرين حول صعدة وصنعاء وزمار وحجة وكان أقواهم هو الامام المتوكل على الله شرف الدين الذى أعلن امامته عام ٩١٢ هـ (١٥٠٦م) وكان بنوا طاهر في بداية أمرهم عمالا للدولة الرسولية في عدن ولحج فخرجوا عليها وأسسوا دولة لهم على أنقاضها وكان يعاصر الزحف البرتغالي آخر سلاطين هذه الدولة الأقوياء وهو

---

(١) السيد مصطفى سالم ، مرجع سبق ذكره ، ص ٨١ .

السلطان (عامر بن عبد الوهاب) الذى تولى الحكم في عام ٨٩٤ هـ (١٤٨٨م) وكان يومئذ يحاول ضم اليمن الشمالي الى دولته .

وبعد هزيمة المصريين في ديو واصل البرتغاليون الزحف على البلاد العربية بقيادة البوكيرك واستولوا على جزيرة كمران في صفر عام ٩١٩ هـ (١٥١٣م) وازاء هذا الخطر المحدق باليمن أرسل عامر ابن عبد الوهاب يطلب النجدة من السلطان "١" الغورى في مصر ، لصد البرتغاليين عن المياه العربية فجهز السلطان الحملة الثانية في السويس برئاسة الرئيس سليمان وهو أحد البحارة العثمانيين الذين دخلوا في خدمة المماليك للدفاع عن البحر الأحمر وغلقه في وجه البرتغاليين واتخاذ ميناء عدن قاعدة بحرية على السواحل اليمنية لأنهم كانوا قد احتلوا زيلع "٢" وسواكن .

----

(١) السيد مصطفى سالم ، مرجع سبق ذكره ، ص ٨١ . ، أنور عبد العليم ، ابن ماجد الملاح من سلسلة أعلام العرب ، ص ٥٨ ، محمد عبد اللطيف البحراوى ، فتح العثمانيون عدن ص ص ٤٧ - ٤٨ ، محمد انيس ، العثمانيون والشرق العربي ص ص : ١٢٣ - ١٢٤ .

(٢) أنور عبد العليم ، ابن ماجد الملاح ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٨ ، محمد عبد اللطيف البحراوى ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٤٧ - ٤٨ ، السيد مصطفى سالم ، مرجع سبق ذكره ، ص ٨١

ولما وصل المماليك بعد استغاثة عامر بن عبد الوهاب بهم كان الطاهريون قد تمكنوا قبل وصول القوات المملوكية من صد الهجوم دون معاونة من المماليك فلم يقبلوا حينئذ نزول المماليك في شواطئهم ، فكان أمرا صعبا على المماليك فأرادوا أن ينزلوا بالقوة لغرض بناء التحصينات الضرورية في الموانيء اليمنية وساعدهم على ذلك شرف الدين الذى كان قد بعث برسالة الى حسين الكردى في زيلع يطلب منه "١" النجدة على عامر بن عبد الوهاب الذى وصفه فيها بارتكاب الظلم والتعاون مع البرتغاليين ، كما أن الأشراف في جيزان كانوا قد بعثوا للسلطان الغورى يطلبون القضاء على حكم السلطان عامر بن عبد الوهاب لأنهم لم يرضوا في يوم من الايام عن تبعيتهم له .

وكانت هذه الأمور من العوامل التي ساعدت حسين الكردى والمماليك على النزول الى السواحل اليمنية ، ولقد أجاب الأمير حسين الكردى طلب الامام شرف الدين عام ٩٢١ هـ (١٥١٥ م) فكانت أول حرب بينه وبين بني طاهر بتهامة ففر عبد الوهاب بن عامر وعمه عبد الملك بن عبد الوهاب الى زبيد بجيشهم فتعقبهم الأمير حسين

---

(١) السيد مصطفى سالم ،المرجع السابق ، ص ص ٨٣ - ٨٤ .
، القاضي حسين بن احمد العرشي ، بلوغ المرام في شرح مسك الختام ، ص ص ٥٨ - ٥٩ .
، بدر الدين محمد بن اسماعيل الكيسي الحسني ، اللطائف السنية في اخبار الممالك اليمنية ،مخطوطة اوراق ٤٠ - ٤١ - ٤٢ .

بجنده المسلحين بالبنادق التي لم تكن معروفة في اليمن في ذلك الحين الا بالسماع ولم يكن لدى الأمير عبد الملك أى نوع من البنادق في هذه الفترة عندما خرج اليه الامير حسين الكردى "١" بجنده ومعه الشريف عزالدين صاحب جيزان الذى كان قد انضم هو الآخر الى قوات الأمير حسين الكردى ، فقامت الحرب بين الفريقين وقاتل عبد الملك أخو عامر قتالا عظيما وفرّ في النهاية الى تعز وقد تصادف في ذلك الوقت وصول ثلاثة سفن خاصة بالأمير حسين الى ميناء الحديدة في طريقها الى " كمران " لتموين القوات المصرية فاحتجزها نائب السلطان عامر فكتب اليه حسين الكردى مبديا حاجته وحاجة جنوده الى تلك السفن لانها كانت تحمل طعاما فلما رفض نائب السلطان عامر توجه حسين الكردى الى مرسي الحديدة ورماها بالمدافع وأمر بنقل الأحجار والأخشاب ليبنوا بها كمران .

---

(١) السيد مصطفى سالم ، مرجع سبق ذكره ،ص ص ٨٣ - ٨٤ .

، القاضي حسين بن احمد العرشي ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٥٨ - ٥٩ .

، بدر الدين محمد بن اسماعيل الكبسي الحسني ، مخطوط سبق ذكره ، أوراق : ٤٠ - ٤١ - ٤٢ .

وكان الأمير حسين قد غضب مما فعله السلطان عامر عندما طلب من الامير حسين مساعدته ضد البرتغاليين ثم عاد فنكص على عقبية وأظهر عدم تقبله للمماليك وانقلب عليهم بعد ما بعث اليهم يستنجد بهم حتى أن وزير السلطان عامر رد على رسول حسين الكردى ردا سيئا مما جعل حسين الكردى يوجه قوته الى تعز ثم المقرانه لقتال السلطان عامر بالمقرانة فدارت بين الطرفين عدة معارك أهمها معركة الصريف ومعركة الرحب حيث انتهت تلك المعارك تقبل السلطان عامر واستيلاء المماليك على صنعاء وضمها الى دولة المماليك "١"

ولما كان الامام شرف الدين يعلم أن المماليك لهم هدف رئيسي هو تحصين السواحل اليمنية لتساعدهم في قتال البرتغاليين ولم يكن

---

(١) السيد مصطفى سالم ، المرجع السابق ، ص ٨٢

، احمد حسين شرف الدين ، مرجع سبق ذكره ، صفحات :

٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٣٧ .

، محمود كامل ، اليمن شماله وجنوبه ، ص ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

لهم هدف داخل البلاد اليمنية لذلك تجده يمد يد المساعدة اليهم لمساعدتهم في ضرب الدولة الطاهرية "١" لأنها هي المنافس القوى له داخل اليمن ، ولكنه عندما وجد أن المماليك يخرجون عن هذا الهدف ويواصلون احتلال اليمن واحتلال صنعاء الأمر الذى يجعلهم يقوضون مشاريعه التي كان يخطط لها ويقضون على طموحه هو الآخر في اليمن بدأ ينقلب عليهم ويحاربهم وساعده على ذلك سلوك المماليك بما أشاعوه داخل اليمن من سلب ونهب وهتك لأعراض الناس فتحرك الامام شرف الدين لقتالهم في منطقة " حجة " و " ثلا " فانهزمت قوات الجراكسة وعاد حسين الكردى مسرعا الى الساحل ليقوم بمواصلة مهمته في جنوب البحر الأحمر فتوجه الى زيلع ومنها الى عدن في ١٣ رجب عام ٩٢٢ هـ (١٥١٦م) وحاصرها وصمدت المدينة الحصينة أمامهم لانها محاطة "٢" بالجبال العالية وفشل المماليك في الاستيلاء عليها وأدى هذا الفشل الى تعطيل حملتهم عن الذهاب الى الهند وقرر

---

(١) السيد مصطفى سالم ، المرجع السابق ، ص ٨٨ .

، العرشي ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٥٨ - ٥٩ .

، السيد رجب حراز ، ارتريا الحديثة ١٥٥٧-١٩٤١ ، ذكره ص ٢٨

(٢) السيد مصطفى سالم ، المرجع السابق والصفحة.

، العرشي ، نفس المرجع السابق ونفس الصفحة .

، السيد رجب حراز ، ارتريا الحديثة ، نفس المرجع والصفحة .

المماليك اتخاذ سواحل تهامة خط الدفاع الأول عن البحر الأحمر على أن تكون "جدة" خط الدفاع الثاني ، وعاد حسين الكردى الى جدة لتركيز الدفاع بها بدلا من عدن ولكي يستعد للهجوم على عدن مرة أخرى ، ولكن الظروف لم تمهله فبعد وصوله الى جدة بقليل سقطت مصر في يد العثمانيين "١" فظل في جدة خائفا يترقب الأخبار من مصر ، ولكن ستأتي الرياح بما لا تشتهي السفن كما سنرى بعد قليل .

---

(١) السيد مصطفى سالم ، المرجع السابق ، ص ٨٨ .

، العرشي ، المرجع السابق ، ص ص ٥٨ - ٥٩ .

، السيد رجب حراز ، ارتريا الحديثة ، ص ٢٨ .

الفصل الثالث

جده في مطلع العصر العثماني

- إنضمام الحجاز إلى الدولة العثمانية سنة ٩٢٣ هـ
- البرتغاليون يقومون بمهاجمة جده سنة ٩٢٣ هـ
- النجدات المصرية إلى جدة في عام ٩٢٤ ، ٩٢٥ هـ
- نيابة حسين الرومي من عامي ٩٢٥ ، ٩٣٢ هـ
- ضم السواحل اليمنية إلى نائب جُده
- الخلاف بين نائب جُده وشريف مكة على محصول جُده .

انضمام الحجاز الى الدولة العثمانية عام ٩٢٣ هـ :

كانت بلاد الحجاز عبارة عن ولاية مستقلة تتبع حكام مصر وكان يتولى الحكم في مكة التي هي قلب الحجاز ومركز الأرض المقدسة الأشراف الحسنيون الذين ينتسبون الى علي بن أبي طالب ، ولم يكن سلطان مصر هو الذى يختار الشريف بل كان كبار الأشراف هم الذين يختارونه ويطلبون الى سلطان مصر تثبيته في منصبه ، لذلك كان أشراف مكة يرون أن من يحكم مصر بعد سقوط الدولة العباسية هو صاحب السيادة على الحجاز ، لأن مصر كانت توفر له الحماية العسكرية والعون المالي الذى يتمثل في ريع الأوقاف الخاصة بالحرمين الشريفين لذلك لم يكن الشريف بمكة يرتبط بدولة معينة في مصر بل يرتبط بمصر ذاتها بصرف النظر عن الدولة القائمة بها فكان يجب على شريف مكة أن يهتم بالتطورات التي تحصل في الشام ومصر من دولة الى دولة "١" وأن يحدد موقفه منها لأنه كان يتبع الدولة المملوكية وامتناعه عن تبعيته للسلطان الجديد في مصر سيجعل موقفه حرجا اذ كانت توجد حامية مملوكية في جدة لرد خطر البرتغاليين ومن الواضح

---

(١) قطب الدين النهروالي ، مرجع سبق ذكره ، صفحات : ٣٨٧، ٣٨٨ - ٣٨٩ .
، محمد عبد المنعم السيد الراقد ، الغزو العثماني لمصر والشام ، ص ص ٢٣٠-٢٣١
، عبد العزيز نوار ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٩٥ .
، د محمود صالح منسي ، حركة اليقظة العربية ، ص ص ٥ - ٦ .

(٢) احمد السباعي ، تاريخ مكة ، مرجع سبق ذكره ، جـ ٢ ، ص ص ٦ - ٧

أن هذه الحامية ستتغير مع تغير الحكم عفي مصر فمن الأصلح لشريف مكة أن يدخل في طاعة حكام مصر الجدد تلقائيا من غير ابطاء"١"
اذ كانت الدولة المملوكية قد وصلت الى مرحلتها الأخيرة بعد أن كبدها البرتغاليون الخسائر الفادحة في البحار الشرقية وفرضت عليها الحصار الذى سبب لها التدهور الاقتصادى ، كل ذلك وسلطان آل عثمان السلطان سليم الأول العثماني يرقب هذه الأحداث على بعد الى أن أحس بأن الوقت قد حان لوضع يده على تلك البلاد ، فنلاحظ أنه بعد أن هزم الصفويين عام ٩٢٠ "٢" لاحظ ضعف الدولة المملوكية في الشام ومصر فقرر الاستيلاء عليها وقامت الحرب بينه وبين المماليك انتصر فيها السلطان سليم على المماليك في موقعة مرج دابق عام ٩٢٢ هـ (١٥١٦م) وقتل السلطان المملوكي قانصوه الغورى وبذلك تم للسلطان سليم الأول الاستيلاء على بلاد الشام .

---

(١) قطب الدين النهروالي ، مرجع سبق ذكره ، صفحات : ٣٨٧ - ٣٨٨ - ٣٨٩ .
، محمد عبد المنعم السيد الراقد ، مرجع سبق ذكره : ص ص ٢٣٠ - ٢٣١ .
، عبد العزيز نوار ، مرجع سبق ذكره ، ص ٩٥ .

(٢) ابن اياس ، مرجع سبق ذكره : جـ ٥ ، ص ص ١٥١ - ١٥٢ ،
، مصطفى رمضان ، فائق الصواف ، مرجع سبق ذكره ص ص ١٥-١٦ ،

ويذكر الشيخ قطب الدين النهروالي في كتابه (الأعلام باعلام بيت الله الحرام) أنه عقب انتصار السلطان سليم في معركة مرج دابق ودخوله حلب حضر صلاة الجمعة في مسجدها وخطب الخطيب باسمه فأغدق عليه الخطيب لقب " خادم الحرمين الشريفين وعندما سمع السلطان سليم هذا اللقب من الخطيب فرح كثيرا وأحسن الى الخطيب وكان ذلك من ضمن العوامل التي شجعت السلطان سليم في الاستيلاء على مصر ، فاتجه اليها بعد أن اجتاز الصحراء وتوجه الى القاهرة فدارت الحرب بينه وبين طومان باى آخر سلاطين المماليك . "١"
ودارت الدائرة على المماليك في معركة الريدانية المكملة لمرجع دابق وتم شنق طومان باى على باب زويلة بالقاهرة في ٢١ ربيع الأول عام ٩٢٣ هـ (١٣ من ابريل عام ١٥١٧م) وبذلك أسدل الستار على فترة من أهم فترات التاريخ الاسلامي كانت مليئة بالجهاد والنضال كتب فيها النصر للمماليك على الصليبيين والمغول ولكنهم أخفقوا في رد عادية البرتغاليين ووقعوا في قبضة العثمانيين "٢"

---

(١) ابن اياس ، مرجع سبق ذكره : جـ ٥ ، ص ص ١٥١ - ١٥٢
، مصطفى رمضان ، فائق الصواف ، مرجع سبق ذكره ص ص ١٥-١٦
، قطب الدين النهروالي : الاعلام باعلام بلد الله الحرام . ص ٢٢٥

(٢) ابن أياس ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ١٥١ - ١٥٢ .
، مصطفى رمضان ، فائق الصواف ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ١٥ - ١٦ .

وبذلك دخلت مصر والشام تحت الحكم العثماني ونودى بالسلطان سليم سلطانا على مصر والشام بعد أن سقطت الدولة المملوكية في مصر ، عندها فكر السلطان الجديد في ضم الحجاز والأماكن المقدسة الى دولته وأخذ يعد العدة للاستيلاء على الحجاز وتصادف أثناء ذلك أن السلطان العثماني قد عفى عن بعض القضاة ورجال الدين الحجازيين الذين كان قد سجنهم السلطان الغورى في القاهرة بسبب امتناعهم عن دفع بعض الأموال التي فرضها عليهم السلطان الغورى أثناء الحكم المملوكي . "١" فكان منهم جماعة من مكة وهم الخطيب محيى الدين العراقي الذى أنعم عليه السلطان سليم وقاضي قضاة مكة صلاح الدين محمد بن ظهيرة فأخذ يستشيرهم في بعض أموره ، فعندما أراد السلطان سليم أن يجهز جيشا الى الحجاز اتصل قاضي قضاة مكة صلاح الدين بن ظهيره برجال السلطان سليم وأقنعهم بعدم ارسال هذا الجيش وأن الرأى عنده " ارسال رسالة الى شريف مكة وأنه لن يخالف هذا الرأى " وان الأمر يحتاج الى تجهيز جيش فأخذ السلطان سليم برأيه وكتب القاضي صلاح الدين رسالة من طرفه

---

(١) احمد بن زيني دحلان ، خلاصة الكلام في بيان امراء البلد الحرام ، ص ٥٠ .
، مصطفى رمضان ، فائق الصواف ، المرجع السابق ، ص ١٦ .
، ساطع الحصرى ، البلاد العربية والدولة العثمانية ،
ص ص ٤٠ - ٤١ .

الى الشريف بركات يعرفه فيها بما وقع ويطلب منه ارسال ابنه محمد أبو نمي الى السلطان سليم في مصر "١" .

فجهز الشريف بركات وفدا على رأسه ابنه أبو نمي وبعث به الى القاهرة ومعه مفاتيح الكعبة وكان في الثانية عشرة من عمره .

وعندما علم السلطان سليم بقدوم الشريف أبو نمي الى القاهرة في الثالث عشر من جمادى الثانية أمر بارسال الأغوات "٢" لاستقباله ووصل في اليوم السادس عشر من جمادى الثانية عام ٩٢٣ هـ السادس من يوليو عام (١٥١٧م) واستقبله السلطان استقبالا حافلا وبعد ستة أيام قدم الشريف أبو نمي الطاعة والولاء وبعض الهدايا للسلطان سليم ثم سلمه مفاتيح الأماكن المقدسة وبعض الآثار النبوية الشريفة الموجودة في مكة والمدينة . فما كان من السلطان سليم الا أن أقره في الشرافه هو ووالده على مكة وبعث معه فرمانا سلطانيا ورسالة تولية الى الشريف فعندما قدم أبو نمي الى مكة قرأ الفرمان على عامة الناس في المسجد

---

(١) احمد بن زيني دحلان ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٠ .
، مصطفى رمضان ، فائق الصواف ،مرجع سبق ذكره ،ص ١٦ .
، ساطع الحصرى ، مرجع سبق ذكره ،ص ص ٤٠ - ٤١ .
(٢) أغا : لفظه تركية معناها : سيد ،وهولاء هم أغوات دار السعادة وهم علية القوم وصحبة السلطان ومن ثم أرسلهم لمقابلة ابن شريف مكة
احمد عبد العال : البحر الاحمر ، ص

الحرام ويوحي هذا الفرمان بقتل الأمير حسين الكردى نائب جدة من قبل المماليك ، وتولية التاجر قاسم الشرواني بدلا منه "١" وألقى القبض على حسين الكردى وأخذ مقيدا الى جدة وقتلوه غرقا في ميناء جدة أى في تلك المياه التي سبق له أن دافع عنها ضد الغزو البرتغالي وهكذا شاءت الأقدار لهذا المجاهد أن يختفي في البحر الذى شهد نضاله وكفاحه عن شواطئه منذ عام ٩١١ هـ (١٥٠٥م) حتى مقتله عام ٩٢٣ هـ (١٥١٧م) وهكذا أصبحت الحجاز تابعة للدولة العثمانية "٢" .

---

(١) مصطفى رمضان ، فائق الصواف ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٨
، فؤاد حمزة ، قلب جزيرة العرب ، ص ٣٣ .
عبدالله بن أحمد الفاكهي ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٣٤٣ - ٣٤٤ .

(٢) مصطفى رمضان ، فائق الصواف ، المرجع السابق ، ص ١٨
، فؤاد حمزة ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٣ .
عبدالله بن أحمد الفاكهي ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٣٤٣ - ٣٤٤ .

ومن الملاحظ على نائب جدة في العصر العثماني أنه كان يلقب بلقب سنجق "١" فيقال : " سنجق جدة " ويطلق على نيابة جدة " سنجقية جدة " وكلمة سنجق مصطلح تاريخي عثماني كان يطلق على نائب المنطقة الصغيرة الأقل من الولاية وتكون أحيانا جزءا من الولاية ، وسنجق كلمة تركية معناها بالعربية العلم وتطلق على الوالي أو النائب كما تطلق أيضا على المنطقة التي يحكمنها فيقال :" سنجق جدة " أى نائبها كما يقال أيضا : " سنجقية جدة " أى نيابة جدة .

ومن النتائج التي ترتبت على مقتل حسين الكردى نائب جدة ان المماليك الذين كانوا معه بالميناء استطاعوا الهرب من وجه موجة الانتقام التي حلت بقائدهم وخافوا من قسوة الناس عليهم فهربوا الى اليمن وانضموا الى قوات الأمير برسباى الذى تركه حسين الكردى مع بعض المماليك بها لتدعيم الحكم المملوكي بالسواحل اليمنية "٢"

---

(١) ترد كلمة " سنجق " في المراجع العربية احيانا بحرف الصاد بدلا من السين فيقال " صنجق " وصنجقة " .

(٢) Angelo, pesce, op.cit, p.88.

وقد اهتمت السلطات العثمانية في مصر باقامة قوة عسكرية في ميناء جدة لمواصلة الدفاع عن البحر الأحمر ضد البرتغاليين لحماية حدود مصر الجنوبية .

وقد ارتبط انتشار نفوذ الأتراك العثمانيين على الساحل الغربي للبحر الأحمر بسياستهم الخاصة لصد الخطر البرتغالي عن هذا البحر لأن الدولة العثمانية بفتحها لمصر والشام والحجاز قد ورثت تركة الدولة المملوكية المثقلة بالأعباء وفي مقدمتها الخطر البرتغالي على البحر الأحمر والاراضي المقدسة في الحجاز . "١"

ويرى البعض من المؤرخين أن الفتح العثماني أنقذ الشرق العربي من توغل النفوذ البرتغالي في المياه العربية بعد أن فشل المماليك في صد هذا الخطر عن المنطقة . "٢"

---

(١) أحمد فؤاد متولي ، الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته ، ص ٢٥٩ .
، السيد رجب حراز ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٣٢٣ - ٣٢٤
، مجلة كلية الشريعة ، مقال للدكتور كمال الدسوقي ، ص ٤٢٣ .

(٢) عبد العزيز الشناوى ، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، القاهرة عام ١٩٨٠ صفحات : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ١٨٦ - ١٩٩ .
د. محمود صالح منسي : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢٥ - ٢٦

البرتغاليون يقومون بمهاجمة جدة عام ٩٢٣ هـ :

لقد عرفنا الأهداف التي كان البرتغاليون يريدون تحقيقها في البحر الأحمر وهي الوصول الى المقدسات الاسلامية واحتكار تجارة الشرق وتطويق العالم الاسلامي تدفعهم الرغبة الانتقامية التي امتزجت فيها الدوافع الاقتصادية بالعوامل الدينية التي كانت تدفعها روح صليبية جارفة جعلتهم يتتبعون المسلمين عند خروجهم من الأندلس لينتقموا منهم في عقر دارهم وازدادت هذه الرغبة لديهم عندما نجحوا في الوصول الى الهند عام ٩٠٤ هـ (١٤٩٨م) واستطاع البرتغاليون منع التجارة عن البحر الأحمر "١" بعد تحويلها الى طريق رأس الرجاء الصالح ، وتوالت حملات البرتغاليين على الشرق الاسلامي وفي عام ٩٢٣ هـ قاد نائب ملك البرتغال بالهند حملة على الشرق ويدعى (لوبوسواريز) (Loboswariz) "٢" خليفة البوكيرك .

---

(١) مصطفى رمضان ، فائق الصواف ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣ ، محمد عبد المنعم السيد الراقد ، مرجع سبق ذكره : ص ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ . ، السيد مصطفى سالم ، مرجع سبق ذكره ، صفحات : ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ .

(٢) السيد مصطفى سالم ، المرجع السابق ص ١٠٢ . مصطفى رمضان وزميله ، المرجع السابق ، ص ص ٢٠ ، ٢١ .

كما كانت أهدافها التي اتضحت من البداية هي تحطيم قوة الأسطول المملوكي في البحر الأحمر والعمل على تدمير جدة واقامة اتصال مباشر مع الحبشة ولم يهاجم (لوبو سواريز) عدن عند وصوله اليها بل تقدم اليها في سلام وطلب من واليها الطاهرى الأمير مرجان أن يمده بالمؤن اللازمة له وببعض المرشدين البحريين لتوصيل الحملة الى جدة "١" فأجاب الأمير مرجان لهذه المطالب خوفا من أن تقوم الحملة بمهاجمة عدن ، ولكنها فشلت أمام جدة بفضل التحصينات التي أقامها المماليك ، مما جعلهم يتجهون الى ميناء مصوع ثم توقفوا عن مهاجمة جدة وأخذوا يركزون اهتمامهم على عدن وذلك لخداع المسلمين لأنهم لم يكفوا أذاهم عن السواحل الاسلامية وخاصة جدة التي كانوا يحومون حولها من أجل ضربها عام ٩٢٣ هـ (١٩١٧م) مستقلين خمسة وثمانين مركبا مليئة بالسلاح والرجال "٢" وكانت أهدافها تحطيم قوة الأسطول المملوكي في البحر الأحمر والعمل على تدمير جدة واقامة

---

(١) السيد مصطفى سالم ، المرجع السابق نفس الصفحة ، ، مصطفى رمضان ،فائق الصواف ، المرجع السابق ونفس الصفحة .

(٢) مصطفى رمضان ،فائق الصواف ، مرجع سبق ذكره ،ص ص ٢٠، ٢١ ، محمد عبد المنعم السيد الراقد ،مرجع سبق ذكره ص ص ٢٢٩-٢٣٠

اتصال مباشر مع الحبشة ، ولكن هذه الحملة فشلت في اقتحام جـدة بفضل التحصينات التي كان المماليك قد أقاموها هناك واضطرت الـى التقهقر ، فقام سلمان الرومي الذى تحمل وحده مسؤولية صد هـذا الهجوم بمطاردة السفن البرتغالية حتى غادرت مياه جدة ثم واصل مطاردته للبرتغاليين بعد عودتهم الى جزيرة " كمران " واقامتهم بها حوالي ثلاثـة أشهر ، ففي هذه الفترة أرسل (lobow ariz)
احدى سفنه الى ميناء " اللحية " اليمني القريب من جزيرة " كمران " للحصول على المؤن اللازمة لهم فسارع سلمان الرومي "[1]" بارسال سفينتين من جدة لطرد البرتغاليين من هناك وقد نجحت هاتان السفينتان فـي مهمتهما فاستولتا على السفينة البرتغالية وأسرتا بعض بحارتها ، فقـام سلمان الرومي بارسال الأسرى الى استانبول ولم تقم الحملة البرتغاليـة بعد ذلك بشيء يذكر في جنوب البحر الأحمر ، فقد قفلت راجعة الـى عدن .

ونستنتج من ذلك عاملين هما :

أولا : لم يستطع (Lobosuvariz) كما رأينا الاستيلاء على " عدن " .

----

(١) السيد مصطفى سالم ، مرجع سبق ذكره ، صفحات : ١٠٢ ، ١٠٣ - ١٠٤ .

ثانيا : أصبح موقف الأمير مرجان السلبي من البرتغاليين موقفا تقليديا للحكام في عدن حتى سقوطها في أيدى العثمانيين في عام ٩٤٥ هـ (١٥٣٨م) "١"

كما أنه لم يستطع الاستيلاء على جدة وفوجيء بالوجود العثماني بها .

---

(١) السيد مصطفى سالم ، مرجع سبق ذكره ، ص ص : ١٠٣ - ١٠٤

نهاية قاسم الشرواني على جدة :

وبعد ذلك أصبحت جدة المركز الرئيسي لمحاولات العثمانيين في فرض نفوذهم الفعلي في اليمن لتأمين مدخل البحر الأحمر "١"

واشتد حرص العثمانيين على حماية السواحل الاسلامية وخاصة جدة التي عين السلطان عليها في مطلع العصر العثماني قاسم الشرواني وقاسم هذا كان تاجرا مقيما بمكة ثم سافر الى مصر فتصادف وجوده فيها أثناء فتح السلطان سليم الأول لها فأخذ يقدم له الخدمات ويتقرب اليه الى أن ولاه نيابة جدة بدلا من حسين الكردى الذى أمر بقتله فتوجه قاسم الى جدة وتسلم النيابة فيها بعد قتل حسين الكردى "٢".

وظل الأمير قاسم في جدة الى أن جاء اليوم الخامس من شهر رمضان عام ٩٢٥ هـ (١٥١٩ م) ويذكر ابن اياس أنه أشيع بين الناس أن الأمير قاسم الشرواني أمير جدة قد جمع عائدات جدة والسلاح الذى كان بها ووضعه في مراكب سار بها الى هرمز فغضب لذلك السلطان

---

(١) مصطفى رمضان ،فائق الصواف ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ١٠٣ - ١٠٤ .

(٢) ابن اياس ، مرجع سبق ذكره ،جـ ٥ ، ص ص ٣١٢ - ٣١٣.
النهروالي ، مرجع سبق ذكره ،ص ٢٨٤ .
زيني دحلان ، مرجع سبق ذكره ،ص ٥١ .

وأمر باحضاره مكبلا بالحديد فأحضره الشريف بركات أمير مكة في اليوم الثامن والعشرين من ذى الحجة عام ٩٢٥ هـ (١٥١٩م) حيث سجنه ملك الأمراء بالحوش السلطاني ثم قتله ، وكان تصرف السلطات العثمانية بهذه الطريقة مع قاسم الشرواني من الأدلة الواضحة على سياسة الدولة العثمانية ضد البرتغاليين التي كانت تعني بوضوح الاسترخاء العسكرى في الجبهة الشرقية نظرا لانشغال السلطان سليمان القانوني ببعض الحروب في أوروبا .

وهنا يجب أن نوضح أن قاسم الشرواني تاجر وتعيينه بعد نيابة حسين الكردى في هذا المنصب العسكرى الخطير يثبت لنا أن سياسة الدولة العثمانية كانت سياسية غير عسكرية لأنه تاجر وبعد ذلك تصرفها مع قاسم الشرواني هذا التصرف يثبت استرخائها العسكرى في منطقة البحر الأحمر .

ولكن يتضح لنا من توالي الأحداث أن الأمير قاسم لم يهرب بالعائدات وانما جمع ذلك كله واتجه به الى هرمز لمؤازرة أبناء الخليج لصد الهجوم البرتغالي عن هرمز ، لأنه يعتبر نفسه مسئولا أمام الله عن مساعدتهم مادام يملك السلاح والعتاد ، ويعتبر أن قضية المسلمين واحدة أمام الغزو البرتغالي . ويعتبر أن أبناء"

---

(١) ابن اياس ، مرجع سبق ذكره ، جـ ٥ صفحات: ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ .
، النهروالي : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٨٤ .
، يحيى بن الحسين ، مرجع سبق ذكره ، ص ٦٥٥ .

الأمة الاسلامية أمة واحدة يشارك بعضهم بعضا وقت الشدة وماقام بـه الأمير قاسم من باب الواجب الأخوى تجاه الأخ المسلم كذلك عملا انسانيا في المساعدة لصد أعداء الدين عن البلد المسلم .

ولكن عندما وصلت الأخبار الى مصر بأن البحرية البرتغالية قامت بتحركات جديدة حول جدة أمر خايربك والي مصر بارسال قوة عسكرية أخرى الى جدة "١"

----

(١) ابن اياس ،المرجع السابق ، جـ ٥ ، ص ص ٣٢١ - ٣٢٢ .

، النهروالي ، المرجع السابق ، ص ٢٨٤ .

، يحيى بن الحسين ، المرجع السابق ، ص ٦٥٥ .

النجدات المصرية الى جدة عام ٩٢٤ هـ :

على الرغم من أن سياسة الحكومة العثمانية المركزية في اسلامبول كانت تعني الاسترخاء العسكرى في جبهة البحر الأحمر الا أن والي مصر خاير بك تولى ارسال المعدات العسكرية والقوات اللازمة لتعزيز حامية جدة وذلك عندما كانت تصل الاخبار الى مصر بتحركات عسكرية للسفن البرتغالية في البحر الأحمر قريبا من ميناء جدة ففي شهر جمادى الآخر عام ٩٢٤ هـ (١٥١٨م) جهز خاير بك حملة الى جدة نزلت في ميدان الرميلة بجانب القاهرة وقام باستعراض بعض القوات العسكرية ثم عين منها فرقة للسفر على وجه السرعة لنجدة جدة وكانت هذه الفرقة تتكون من نحو ٢٥٠ جنديا من المماليك الجراكسة واولاد الناس والمغاربة وغيرهم .

وكان من بينهم مجموعة من البحارة المغاربة . وفي رمضان عام ٩٢٥هـ (١٥١٩م) وصل الى علم السلطان العثماني بأن أكثر من أربعين مركبا برتغاليا قدمت للبحر الأحمر لتقوم بمحاولاتها العدائية ولتعمل

---

(١) مصطفى رمضان ، فائق الصواف ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢٣ - ٢٤ .
ابن اياس ، مرجع سبق ذكره ، جـ ٥ ، ص ٢٦٢ .

على مضايقة التجار العرب فما كان من ملك الامراء الا أن أمر باعداد حملة تخرج الى جدة مكونة من ثلاثمائة جندى بين مماليك وغيرهم ثم خرجت الحملة يوم الخميس الثامن والعشرين من رمضان عام ٩٢٥ هـ (١٥١٩م) بصحبة الحجاج ليقيموا بجدة لصد غارات البرتغاليين عنها وكانت هذه التعزيزات العسكرية من ضمن العديد من النجدات التي كان يبعث بها السلاطين في مصر الى جدة لتقوية مركزها الدفاعي .

---

(١) ابن اياس ، المرجع السابق ، جـ ٥ ، صفحات ٣١٢ - ٣١٣ - ٣١٦
، انور عبد العليم ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٨
، عبد الحميد البطريق ، تاريخ اليمن الحديث ، ص ٧٣
، سيد رجب حراز ، عصر النهضة ، ص ص ٢٠٢ - ٢٠٤

نيابة حسين الرومي عام ٩٢٥ هـ :

عين خاير بك (والي مصر) على جدة نائبا جديدا خلفا لقاسم الشرواني ، هو حسين الرومي ، وهو تركي حضر الى مصر مع السلطان سليم العثماني وفي فترة نيابة حسين الرومي أضحت جدة المركز الرئيسي لمحاولات العثمانيين فرض نفوذهم الفعلي في اليمن لتأمين مدخل البحر الأحمر وأصدر خاير بك أمرا بأن يضم اليه ولاية سواحل اليمن الى جانب نيابة جدة ولقد توجه حسين الرومي الى مقر ولايته في جدة تصحبه قوة جديدة من التعزيزات المصرية لميناء جدة ورافق في سفره قافلة الحج المصرى لعام ٩٢٥ هـ (١٥١٩م) وكان الأمير الجديد رجلا فاضلا ذا شخصية قوية محبوبة لدى ملك الأمراء فقد تولى نيابة جدة بعد وفاة قاسم الشرواني الذى كان أول وال عثماني بجدة "١"

وتعتبر تولية حسين الرومي نائبا على جدة بداية لمرحلة جديدة من سياسة العثمانيين في البحر الأحمر وذلك لانهم جعلوا سلطته تمتد الى اليمن الى جانب نيابته لجدة ومعنى هذا بداية العمل

---

(١) مصطفى رمضان ، وزميله ، مرجع سبق ذكره ، ص ص : ٢٤ - ٢٥ .

الجذى في مدخل البحر الأحمر وعلى السواحل اليمنية وترتب على هذا أن زحف حسين الرومي من جدة الى اليمن "١"

وفي أثناء ذلك ظهر سلمان الريسي في سماء جدة من جديد فقد فرّ من مصر بعد عصيان واليها أحمد باشا واتصل بحسين الرومي في جدة واشترك معه في حملته على اليمن لتدعيم الحكم العثماني بها ومواصلة عمل التحصينات التي بدأها المماليك . "٢"

---

(١) كان حسين الرومي هذا من الأمراء الذين وردوا مع السلطان سليم الأول الى مصر وكانت له وجاهة عند خايربك والي مصر فولاه نيابة جدة وأضاف اليه اليمن . مصطفى رمضان وزميله ، ص ٢٥

(٢) مصطفى رمضان وزميله ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢٤ - ٢٥
قطب الدين النهروالي ، البرق اليماني ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٤ .

ضم السواحل اليمنية الى نائب جدة :

ان علاقة مصر باليمن لم تكن علاقة جديدة ولا مستحدثة بل كانت علاقة قديمة ترجع الى عهد صلاح الدين الأيوبي ، فقد استولى على اليمن وذلك لتدعيم سيطرته على البحر الأحمر ضد الصليبيين الذين كان همهم الوصول الى الأماكن المقدسة . "١"

ثم نرى هذه العلاقة تتجدد زمن سلاطين المماليك في مصر فقد عرفنا كيف استطاعت حملة حسين الكردى أن تستولي على اليمن وها نحن نلاحظ كيف تتجدد هذه العلاقة زمن العثمانيين وذلك بعد فتح العثمانيين للبلاد العربية واستيلاء السلطان سليم على مصر عام ٩٢٣ هـ (١٥١٧م) حيث وجه العثمانيون انظارهم الى الشرق الأوسط والبلاد العربية ويرجع ذلك الى أنهم ورثوا تركة المماليك بكل مافيها من حروب ومشكلات والتي كان فيها محاولة البرتغاليين تحويل طريق التجارة ومحاولة الاعتداء على الحرمين الشريفين كما نلاحظ هنا

----

(١) السيد مصطفى سالم ، مرجع سبق ذكره ، صفحات : ٢٩ - ٣٠ - ٣١ .

محمد عبد المنعم السيد الراقد ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٣١ .

كيف أن الأمير حسين الرومي نائب جدة لما علم بأن اليمن أصبح ملجأ للمماليك طلب من والي مصر خاير بك بأن يرسل تعزيزات الى اليمن ، فما كان من خاير بك الا أن أصدر أمره الى نائب جدة حسين الرومي وقد كان هذا القائد هو الذى تولى قيادة النجدات العثمانية الى اليمن عام ٩٢٥ هـ (١٥١٩ م) بأن يخرج بحملة الى اليمن يضم بها السواحل اليمنية الى الدولة العثمانية ."١"

وكان المماليك يفرضون سيطرتهم في داخل اليمن في زبيد وماحولها بزعامة قائدهم اسكندر الذى عرف فيما بعد باسكندر المخضرم "٢" ، فتقدم حسين الرومي على رأس قوة صغيرة الى ميناء البقعة اليمنى المواجه لزبيد ، ولكن رفض اسكندر المخضرم دخوله الى اليمن وأظهر له استعداده للحرب فهنا نجد حسين الرومي يفضل السلام على الحرب ويعود الى جدة .

ويذكر البعض بأن السبب الحقيقي لرجوعه الى جدة هو أنه علم بوصول حملة برتغالية جديدة بالقرب من مدخل البحر الأحمر ومدينة جدة

---

(١) النهروالي ، البرق اليماني ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٤
محمد فريد (المحامي) تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ص ١٠٠ - ١٠١ .

(٢) ولقب بالمخضرم لانه عاصر الفترة المملوكية باليمن ثم استمر حكمه في العهد العثماني بعد اعلانه الانضمام للعثمانيين .

وكانت هذه الحملة هي حملة (لوبو سكويرا) Loporauira التي فشلت في الوصول الى جدة بسبب التحصينات القوية التي كانت حول جدة منذ زمن حسين الكردى ، ثم نلاحظ أنها اتجهت الى الحبشة لا تزال المبعوث البرتغالي هناك .

أما اليمن فقد كثرت فيها الفتن الداخلية بعد خروج حسين الرومي منها ، وقام رجل من الأتراك يدعى كمال الرومي بقتل اسكندر المخضرم عام ٩٢٧ هـ (١٥٢٠ م) وتوليه مكانه لأن العناصر التركية قامت بتنصيبه بحجة أن اسكندر خان الدولة العثمانية عندما رفض دخول حسين الرومي اليها "١" .

ولكن أنصار اسكندر المخضرم المملوكي قتلوا كمال الرومي وولوا اسكندر القرماني مكانه ، ويظهر أن القوة المملوكية في اليمن انقسمت

---

(١) السيد مصطفى سالم ، مرجع سبق ذكره ، صفحات : ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ .
، احمد حسين شرف الدين ، اليمن عبر التاريخ من ق ١٤ الى ق ٢٠ ، م ط ٢ عام ١٣٨٤ هـ (١٩٦٤م) صفحات : ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ .
بدر الدين بن محمد اسماعيل الكبسي الحسني ، اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية ، مخطوط ، ق ٤٧ .

على نفسها مجموعة تقف مع العثمانيين ، والمجموعة الأخرى تقف ضدهم . "١"

وكان يوجد لدى حسين الرومي وسلمان الريسي الكثير من العتاد والسلاح في جدة فجمعا العسكر وسارا بهم الى اليمن مرة أخرى حيث كان البرتغاليون يختبئون في جزيرة كمران ويهاجمون السواحل اليمنية ، فلما وصل سلمان الريس عام ٩٣٠ (١٥٢٤م) ردهم وقتل منهم الكثير واستطاع أن ينظف ساحل اليمن منهم ثم بعث الى اسكندر القرماني يطلب منه الطاعة ولكن عسكره رفض مما جعله يبعث الى أهل يافع والمهره ليساعدوه ضد المماليك المقيمين . "٢" في زبيد مفضروم وبالشعين اليه ، وانضموا الى جنده ثم بعث الى السيد عزالدين صاحب جازان يستعين به وكان يعرفه منذ زمن حسين الكردى ، فخرج اليه مجهزا بجنده ثم خرج الذين في زبيد لمحاربة سلمان فتوجه اليهم وترك حسين الرومي لحراسة المراكب والعتاد الذى فيهامع مجموعة من العسكر

---

(١) السيد مصطفى سالم ، المرجع السابق ، ونفس الصفحات .
، احمد شرف الدين ، المرجع السابق ونفس الصفحات .
، الكبسي ، المخطوط السابق ، ق ٤٧ .

(٢) السيد مصطفى سالم ، مرجع سبق ذكره ، ص.ص ١٣٢ - ١٣٣
النهروالي ، البرق اليماني ، مرجع سبق ذكره ص ص ٣٨ - ٣٩ .
محمد سعيد العطار: ساحل الذهب الاسود . صص ١٧١ - ١٧٢
امين سعيد : اليمن تاريخه السياسي ، ص ١٥

ثم اجتمع سلمان مع أهل يافع والمهرة واستعدوا برا وبحرا فخرج اليهم الأمير اسكندر القرماني ومعه جميع المماليك الذين كانوا في زبيد ودارت المعركة ، وانهزم اسكندر القرماني ودخل بمن معه زبيد وأغلقوا أبوابها فأحاط سلمان بهم وأراد أن يحرق الأبواب ويدخل عليهم فطلبوا منه الأمان فدخل زبيد وأوقف الأمير عز الدين خارجها ثم أمسك باسكندر القرماني ونفاه عن البلاد "١".

وفي عام ٩٣٠ هـ (١٥٢٤م) وقعت أيضا حرب بين سلمان وعز الدين بسبب اختلافهم على توزيع الغنائم التي غنموها من مدينة زبيد قتل فيها عز الدين ومجموعة من عسكر سلمان . ثم استولى سلمان على زبيد نهائيا واستدعى حسين الرومي نائب جدة فجاء وكان الأمير حسين الرومي محبا للسلام فعامل أهل البلاد بالرفق والطيبة مما جعلهم يحبونه .

ولم تطل الأمور بحسين الرومي في اليمن فلم يزل الى أن توفي بعد مرض طويل في عام ٩٣٢ هـ ودفن باليمن وكان سلمان الريس قد

----

(١) السيد مصطفى سالم ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ١٣٢ - ١٣٣
النهروالي ، البرق اليماني ، مرجع سبق ذكره ، صفحات :
٣٨ - ٣٩ - ٤٢ .
مصطفى رمضان وزميله ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٥ .

ترك حسين الرومي باليمن واتجه الى مصر عام ٩٣٠ هـ (١٥٢٤م) وأغرى واليها ابراهيم باشا بارسال حملة معه ليدفع بهم البرتغاليين كما ادعى ، فجهزه بنحو أربعة آلاف مقاتل توجه بهم الى الحجاز أولا . "١"

وقد كانت قوات سلمان هذه مصدر شقاء لأهل جدة ومكة لأنهم كانوا في مجموعهم من الصناع وقطاع الطرق والجهلة وغيرهم من عامة الناس ، فلما وصل سلمان الى جدة بهذه القوات عام ٩٣٢ هـ ١٥٢٦م عاثوا فيها الفساد وصاروا يتعرضون للعرب وينهبون الأسواق فانقطعت المكرمة السلطانية عن مكة ، فحصل فيها قحط شديد وغلاء عظيم بحيث صار ذلك تاريخا عند أهل جدة ومكة ، فكانوا يقولون سنة سلمان ، وامتدت يد سلمان الى محصول جدة فأخذه كله واستولى عليه لنفسه وكان قدره تسعون ألف دينارا ذهبا ووافقه على ذلك نائب جدة الجديد الذى كان في تلك الفترة هو علي بك جاويش الذى تولى نيابتها منذ

---

(١) مصطفى رمضان ، وزميله ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢٥ - ٢٦
النهروالي ، البرق اليماني ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٤٢-٤٣
السيد مصطفى سالم ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤٣ .

عام ٩٣٢ هـ (١٥٢٦م) عقب وفاة حسين الرومي باليمن ، وكان هذا المحصول نصفه للسلطان ونصفه لشريف مكة "١" .

وفي غضون ذلك أضحت جدة المركز الرئيسي لمحاولات العثمانيين في فرض نفوذهم الفعلي في اليمن لتأمين مدخل البحر الأحمر .

وفي عام ٩٣١ هـ (١٩٢٥م) عين العثمانيون سليمان باشا الخادم واليا على مصر فأمره السلطان سليمان القانوني عام ٩٣٧ هـ (١٥٣٠م) بأن يبني اسطولا جديدا في السويس وذلك بعد أن وصل الى مسامع السلطان سليمان القانوني بأن البرتغاليين يحاولون الاستيلاء على الهند وقتلوا السلطان بهادر شاه فبنى هذا الاسطول من أربع وثمانين سفينة من مختلف الأنواع والأحجام "٢" ومن عشرين ألف جندى

---

(١) مصطفى رمضان وزميله ، المرجع السابق ،ونفس الصفحة .
النهروالي ، البرق اليماني ،المرجع السابق ونفس الصفحة
السيد مصطفى سالم ،مرجع سبق ذكره ونفس الصفحة
ابن أبي السرور البكرى الصديقي ، المنح الرحمانية في الدولة العثمانية ، مخطوط مصور على ميكروفلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة برقم (١٠٥) ق ٣١ .

(٢) النهروالي ، البرق اليماني ، المرجع السابق ، ص ٧٠ .
السيد مصطفى سالم ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٣٩٧ ، ٣٩٨
مصطفى رمضان ، وزميله ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٦ .

من مصر والشام ثم خرجت الحملة بقيادة سليمان باشا الخادم على رأس هذا الاسطول عام ٩٤٥ هـ (١٥٣٨م) من السويس مارا بجدة متجها الى عدن .

" وتعتبر حملة سليمان باشا الخادم الحملة العثمانية الأولى التي فرضت سيطرتها وسيطرة العثمانيين الفعلية على اليمن وهي بمثابة الفتح العثماني الأول لليمن " .

وكان القائد سليمان باشا الخادم قائدا يعمل من أجل تحقيق هدفه بأية وسيلة كانت مما جعله يلجأ الى الغدر ليتخلص من أعدائه ومن زعماء اليمن من المماليك ومن غير المماليك ، فنراه يستدعي عامر ابن داوود الطاهرى الى وليمة ثم يغدر به عندما حضر اليه فقتله وصلبه على السارية في السفينة ، واستولى على عدن غدرا وولى مكانه بهرام أحد القادة الأتراك . وبذلك قضى نهائيا على دولة بني طاهر "١"

---

(١) قطب الدين النهروالي ، البرق اليماني ، مرجع سبق ذكره ، صفحات ٣٣ ، ٣٨ ، ٣٩ .
عبد الحميد البطريق ، مرجع سبق ذكره ، صفحات ٢٥ - ٢٦ - ٢٧ .
السيد رجب حراز ، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب ، ١٨٤٠ ، ١٩٠٩م ، معهد البحوث والدراسات العربية ، جامعة الدول العربية ١٩٧٠م القاهرة ، ص ٧٤ .

كذلك فعل بالمماليك حيث استولى على زبيد ، وقتل زعيم المماليك المدعو الناخوذة ، أحمد غدرا وولى مكانه أحد الضباط الأتراك ، ثم نراه يترك قواته في اليمن ويولي عليها مصطفى باشا وأوكل اليه مهمة الاستيلاء على تعز "١" لأنها ذات أهمية استراتيجية كبرى ، ثم توجه الى الهند فوصلها وحال وصوله اليها توجه بجنوده الى كجرات بعد أن اتحد الريس سليمان مع ملك الكجرات محمود بن بهادر شاه على قتال البرتغاليين فاستولى على قلعتي (كوله) و (كات) ثم شرع في حصار ميناء ديو فقاوم محافظها مقاومة عنيفة فطلب سليمان باشا الخادم من الملك محمود أن يمده بالذخائر الحربية لقلة ماعنده منها فامتنع ، واتحد مع البرتغاليين مخافة أن يصيبه منه ما أصاب أمير عدن من الغدر. "٢"

فاضطر سليمان باشا أن يعود الى مصر ، وفي أثناء عودته

---

(١) عيسى بن لطف الله بن المطهر ، مخطوط سبق ذكره ، ق ٣٥
محمد فريد وجدى ، دائرة المعارف القرن العشرين هـ ٢ ، ص ٥٨٥ .

(٢) عيسى بن لطف الله بن المطهر ، المخطوط السابق ، نفس الورقة
محمد فريد وجدى ، مرجع سبق ذكره ، هـ ٦ ، ص ٥٨٥ .

مرّ بعدن ، بحيث نرى أحد القادة واسمه مصطفى يستولى على تعز لأنه لا قيمة لزبيد أو عدن الى بالاستيلاء على تعز ومايليها من البلاد . ومن النتائج التي ترتبت على حملة سليمان باشا الخادم على اليمن والهند "١" ان الشواطيء اليمنية أضحت تمثل خط الدفاع الأول عن البحر الأحمر وأضحت جدة تمثل خط الدفاع الثاني .

وهنا يتضح لنا وان كان سليمان قد فشل في اجلاء البرتغاليين من الهند الا أنه أدخل اليمن وعدن تحت الحكم العثماني وقضى نهائيا على نفوذ المماليك باليمن وعلى آخر حكام الطاهريين .

وفي عام ٩٥٩ هـ (١٥٥٢ م) نرى سكان عدن يثورون على الحكم العثماني بمساعدة الزيديين والبرتغاليين فأجلوهم عن عدن مما أضطر الدولة العثمانية لاعادة سلطانها على عدن . "٢"

---

(١) محمد فريد وجدى ، المرجع السابق ، هـ ٦ ، ص ٥٨٥
عبد العزيز نوار ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ١٠٣ - ١٠٤ .
(٢) محمد فريد وجدى ، المرجع السابق ، هـ ٦ ، ص ٥٨٥ .
عبد العزيز نوار ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ١٠٣ - ١٠٤ .

الخلاف بين شريف مكة ونائب جدة :

لقد عرفنا أن جدة كانت نيابة مستقلة يوجد بها نائب يعين من قبل الحاكم في مصر سواء في عهد المماليك أو في عهد السلاطين العثمانيين ، وقررت السلطات العثمانية لشريف مكة أن يأخذ نصف محصول ميناء جدة كل عام ، ومن ثم فقد تسبب هذا الأمر الى اثارة كثير من المشاحنات بين نائب جدة وشريف مكة ، ولم تهدأ الحوادث بينهما طوال العصر العثماني كما تسببت ثنائية الحكم هذه في خلق جو من الاضطراب والفتن والفوضى لا في جدة ومكة فحسب بل في الحجاز كله ، اذ قدمت الأخبار من مكة بأنه وقع بها فتنة كبيرة بين الشريف بركات أمير مكة وبين نائب جدة حسين الرومي الذى لم تمض فترة وجيزة من نيابته على جدة عام ٩٢٥ هـ حتى نشب الخلاف بينه وبين شريف مكة الشريف بركات "١" أدى الى نشوب معركة حربية بين القوات العثمانية المرابطة بجدة بقيادة حسين الرومي وبين الشريف

---

(١) مصطفى رمضان وزميله ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٠ .
ابن اياس ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٣٠ .
قطب الدين النهروالي ، البرق اليماني ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٤٥ - ٤٦ .

بركات وقواته تسببت في وقوع كثير من القتلى من جنود الشريـــف بركات ، كما خرج نائب جدة حسين الرومي جريحا من المعركة"[١]

---

(١) مصطفى رمضان وزميله ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٤ .
ابن اياس ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٣٠ .

الفصل الرابع

جده في النصف الثاني

من القرن العاشر الهجري

- فترة نيابة إسكندر على جده عام ٩٤٥ هـ
- إضافة جدة الى ولاية الحبشى وسببها .
- الحركة التجارية .
- حواصل وشون جده .
- الموسم الهندى .

نيابة اسكندر على جدة عام ٩٤٥ هـ :

استقر وضع جدة في النصف الثاني من القرن العاشر الهجرى باستقرار الوضع للعثمانيين في البحر الأحمر واستطاعتهم احكام قبضتهم على مدخل هذا البحر وعدم تمكن البرتغاليين من دخول البحر الأحمر .

أما عن التجارة فأصبحت حركتها أقل بكثير من حركتها في بداية القرن العاشر الهجرى نظرا لأن سيطرة البرتغاليين عليها في الهند وجنوب شرقي آسيا استمرت ولم يعد يأتي منها الى جدة الا القليل فكانت تحملها السفن العربية من الموانئ اليمنية وتدخل بها الى البحر الأحمر وتمر بها على ميناء جدة وتصل بها الى السويس .

أما آخر مرة دخل فيها البرتغاليون البحر الأحمر فكانت بقيادة اسيفو دى جاما (Estevao de Gamka) ابن فاسكو دى جاما عندما أبحر"١" على رأس حملة عام ٩٤٨ هـ (١٥٤١م) من جاوه الى السويس وقد تعرض ميناء جدة لعملية تخريب أثناء مرور الحملة البرتغالية في طريقها الى السويس ، وتنبه شريف مكة أبو نمى للخطر المحدق بجدة في غيبة نائبها فترك مكة في موسم الحج وتوجه الى جدة في جيش كبير جمعه من أهل مكة والقبائل المجاورة لها ، وأمر المنادى بالنداء في مكة وضواحيها " من صاحبنا فله أجر الجهاد وعلينا السلاح

Angelo pesce, op. cit., p.8,.

والنفقـة " واستمر الشريف في موقفه مدافعا عن جدة مما جعـل السلطان سليمان القانوني "١" يأمر له بنصف معلوم جدة ، الـذى كانت قد امتدت اليه يد سلمان باشا الخادم بموافقة نائبها في ذلـك الوقت علي بك جاويش الذى جاء بعده واليا على جدة الأمير اسكندر فوصلها عام ٩٤٥ هـ (١٥٣٨م) واليا وأميرا عليها واستمر بها مدة ستة أعوام قضاها في ضبط البلاد "٢" والمحافظة عليها بحيث أنـه أرضي بتصرفاته السلطان العثماني وشريف مكة الشريف أبو نمى بما عملـه فقد أخرج للسيد أبو نمى من ميناء جدة معلوما كان يأخذه من كان قبلـه فلم يتنبه اليه الأمراء الذين سبقوا الأمير اسكندر ، فأقامه الشريـف ناظرا من قبله ، وكانت هناك امرأة تعرف باسم خديجة الدهلكية "٣" كان يفتتن بها جميع الملوك والأمراء في ذلك الوقت فقتلها الأمير اسكندر

---

(١) مصطفى رمضان ، فائق الصواف ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٨
احمد بن زيني دحلان ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٣ .

(٢) عبد القادر بن فرج ، مخطوط سبق ذكره ، ص ص ٢٥ - ٢٦

(٣) يبدو من تسميتها أنها من جزر دهلك المقابلة للشاطـيء الافريقي وللسواحل الارترية .

غرقا في الماء ، وكانت للنائب اسكندر بعض الاصلاحات الاقتصادية التي تعود على مجتمع جدة بالخير والرخاء للأسعار في الأسواق ومن هذه الاصلاحات التي يشير اليها الشيخ عبد القادر بن فرج صاحب مخطوطة " السلاح والعدة ... " انه منع جميع البائعين للسمن والعسل والفنم والحطب من تلقي الركبان لأن تلقي الركبان خسارة على البائع وربح للتاجر "١" لأنهم في حالة تلقيهم لهم خارج البلد واضح من ذلك أنهم يلاقونهم خارج البلاد أى قبل أن يلتقوا بالدلالين والسماسرة وقبل أن يعرفوا الاسعار الحقيقية للسلع فيشترونها منهم بأثمان زهيدة جدا .

كما كان له بعض الاصلاحات التي تتصل بالأوضاع الأمنية ، وفي بداية عهد اسكندر عام ٩٤٥ هـ (١٥٣٨م) تراكمت في جوانب سور جدة الذى بناه حسين الكردى أكوام من التراب والمخلفات التي تراكمت على مدى السنين منذ بنائه ، فأصبحت هذه الأكوام تجعل الانسان في استطاعته ان يرقى ويعبر السور بسهولة ماشيا على ذلك التراب ، فأزال النائب اسكندر هذه الأكوام من التراب الملاصقة للسور ، فأصبحت عملية اجتياز السور من هذه الأماكن صعبة مثلها مثل غيرها

----

(١) عبد القادر بن فرج ، المرجع السابق ، ص ص ٢٥ - ٢٦ .

من الأماكن الأخرى ، كما وضع بعض المدافع على الأبراج والأبواب وبصفة عامة فانه قد دعم تسليح الأسوار والأبراج ، حيث أصلح السور من جهة التراب الذى كان تحته بحيث أن الانسان يرقى على السور من على ذلك التراب المتراكم هناك ، كما وضع المدافع والابواب. "١"

أما بالنسبة للأسواق فقد كانت أسواق جدة مهملة يعرض بها الناس سلعهم في العراء فيكونون عرضة هم وسلعهم لحرارة الشمس القاسية فأدخل اسكندر بناء السقوف على الأسواق لأول مرة في جدة لهذا الغرض ، وبناها من الخشب والحديد وبذلك اصبحت الأسواق في ظل هذه السقوف ، وأمر أهل الاسواق أن يعلقوا فيها القناديل ليلا ، ونبه عليهم بأن تكون انارة القناديل والمصابيح كل ليلة ، ومن ثم أصبحت الأسواق عامرة "٢" نهارا ، وليلا يرتادها الناس بسهولة ، وامتدت اصلاحات اسكندر الى مكة المكرمة ، اذ أن له جملة مآثر منها بناء السد الذى عند جبل حراء لمنع السيل والاستفادة بالماء في هذه المناطق .

---

(١) المرجع السابق ، صفحات : ٢٥ - ٢٦ - ٢٨ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٨ .

أما بالنسبة للجبل الذى كان يعر منه السارقون الذين كانـــو يروعون الحجاج هناك بالهجوم عليهم وسرقة أمتعتهم ، فقد بنى جدارا من الحجر في الطرف الشرقي الى الطرف الغربي ورفعه بحيث كـــان السارق اذا سرق شيئا وأراد الفرار من ناحية الجبل لم يلق طريقـــا يصعد منه فيمسكوا به قبل أن يفر ، كما أزال المخالفات التي كانـــت تقع مثل أخذ الضرائب ، كما أنه نظف المساجد من القاذورات ، وخصوصا المسجد الحرام ، كما عمر دار السعادة عام ٩٥١ هـ (١٥٤٤م) ثم عزل بعد ذلك عن الولاية في نفس العام. "١"

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٨ .

اضافة جدة الى ولاية الحبش :

لقد بسط العثمانيون سلطانهم على كل ممتلكات الدولة المملوكية في الحجاز واليمن بعد أن أتموا فتح مصر عام ٩٢٣ هـ (١٥١٧م) ثم أخذوا يمدون سلطانهم الى سواكن ومصوع على الساحل الغربي للبحر الأحمر ، وقد أطلقوا على هذا الجزء من ممتلكاتهم اسم ولاية الحبشي لأنها تعتبر المخرج لبلاد الحبشة ووضعت هذه الولاية تحت اشراف والي جدة .

وفي هذه الأثناء كان ازدمر باشا واليا على اليمن عام ٩٥٦ هـ (١٥٤٩م) من قبل الدولة العثمانية ، وعندما عزل عن اليمن وتوجه الى الباب العالي فضل ان يتجه الى مصر عن طريق سواكن ولم يمر بمكة (١)

---

(١) الحيمي الحسن بن أحمد ، سيرة الحبشة ، تحقيق د . مراد كامل ، مطبعة دار العالم العربي ، القاهرة ، ت ٩٠٦٧٠٦ ص ص ٢٣ - ٢٤ .
سيد رجب حراز ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٣٢ - ٣٣
عبد الحميد عابدين ، بين الحبشة والعرب ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، عام ١٩٦٢م ، ص ص ١٩٢ - ١٩٣ .

وكانت سواكن عامرة فكان ازدمر باشا أول من لمس أهمية السواحل الحبشية بالنسبة للسيطرة على البحر الأحمر ، وبحكم الخبرة التي اكتسبها أثناء ولايته على بلاد اليمن ، التي كانت تابعة "١" للدولة العثمانية من عام ٩٥٦ هـ (١٥٤٩م) حتى عزل عام ٩٦٢ هـ (١٥٥٥م) ، فتوجه من البر عن طريق سواكن الى مصر ثم اتجه الى اسلامبول واجتمع بالسلطان سليمان القانوني الذى كان محبا للجهاد فقدم له مشروع ولاية الحبش وطلب منه أن يمده بالعسكر لتدعيم النفوذ العثماني على ساحل الحبشة فأعجب السلطان بما قدمه له أزدمر ، وأمر له بعسكر عظيم مجهزا بأحدث الأسلحة في ذلك الوقت يبلغ نحو ثلاثة آلاف من العسكر زحف بهم ازدمر باشا الى الحبشة عن طريق صعيد مصر ، ونجح ازدمر باشا في السيطرة على جهات النوبة واستولى على بعض الأقاليم الساحلية حول سواكن "٢" وأتم بذلك تكوين مايسمى بولاية الحبش

---

(١) المرجع السابق ، ص : ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ١٩٢ ، ١٩٣ .

(٢) مصطفى رمضان ، فائق الصواف ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٣٠ - ٣١ .

عبد الحميد عابدين ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ١٩٢ - ١٩٣

النهروالي ، البرق اليماني ، مرجع سبق ذكره ص ص ١١٩ - ١٢٠

وأصبح ازدمر باشا أول وال لهذه الولاية ، حتى توفي بها عام ٩٦٧ هـ (١٥٥٩م) وبعد وفاته نقل جثمانه الى مصوع حيث دفن بها ، وبنى له ابنه عثمان قبة وكانت ولاية الحبشة من قبله يتوجه اليها الأمناء من مصر ثم خلف عليها ابنه عثمان ، وكانت هذه الولاية تضم المناطق الساحلية حول سواكن ومصوع وقد ربط "١" العثمانيون بين ولاية الحبش وثغر جدة الاسلامي اذ أصبحت ادارة واحدة فأضافوا ثغر جدة الى ولاية الحبش ، ويذكر ساطع الحصرى أن جدة كانت ملحقة بولاية الحبش أو كانت تابعة لها . "٢"

وهناك أقوال أخرى تنفي أن جدة كانت تابعة لولاية الحبش فقد ذكر د. محمد كمال دسوقي في بحثه أهمية الحجاز في مطلع العصور الحديثة .... الذى نشره في مجلة كلية الشريعة مانصه :

----

(١) مصطفى رمضان ، وزميله المرجع السابق ، ص ص ٣٠، ٣١
عبد الحميد عابدين ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ١٩٢، ١٩٣
النهروالي ، البرق اليماني ، مرجع سبق ذكره ، ص ص : ١١٩ ، ١٢٠ .
د. احمد ابراهيم دياب : العلاقة بين جدة وسواكن ، ص ص ٤ - ٥
(٢) ساطع الحصرى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٣٩ .

" وأقام العثمانيون بجدة سنجقية عثمانية يتولاها أحد العثمانيين وأطلق عليها فيما بعد اسم سنجقية الحبش رغم أن بلاد الحبشة لم تكن تابعة لها بالمرة " "١"

---

(١) د. محمد كمال دسوقي ، أهمية الحجاز في مطلع العصور الحديثة ، مجلة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، العدد الثاني ، السنة الثانية : ١٣٩٦-١٣٩٧ ، ص ٤٢٤ .
، محمد أنيس ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٢٩ .

الحركة التجارية في جدة في القرن العاشر الهجرى :

كان اذدمر باشا نائبا على ولاية الحبش بما في ذلك جدة وجميع سواحل افريقيا المطلة على البحر الأحمر ومضيق باب المندب "١" وبعد أن احتلوا في عام ٩٦٥ هـ (١٥٥٧م) جزيرة مصوع وقرية حرقيقوا (Arkiko) المقابلة لها على الساحل والتي تبعد عنها مسافة ساعتين وذلك كعمل وقائي ضد قيام أى تحالف بين الحبشة والبرتغاليين في الهند ، ثم زحف اذدمر واستولى على دباروا (Dabarw) وبنى بها حصنا أنزل به حامية عثمانية ثم اتجه الى أجامي (Agame) واستولى عليها وهاجم دابرادامو (Dabra-Damo) شمال غرب اديجرات (Adigrat) وقتل رهبانه وضرب كنيسته ، ومن جهة أخرى فقد دأب الأتراك العثمانيون "٢" منذ عام ٩٦٥ هـ (١٥٥٧م) حتى عام ٩٧٠ هـ (١٥٦٢م) على ارسال حملات من سواكن الى الحبشة ووضعوا البحر الأحمر بين فكي الكماشة

---

(١) مصطفى رمضان ، فائق الصواف ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣١

(٢) سيد رجب حراز ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٠ .

التركية اذ أنه أصبح من الطبيعي أن تكون منطقة البحر الأحمر حيث تقع الحبشة موضع صراع بين هاتين القوتين التي تريد كل منها السيطرة على الأخرى والانفراد بالمراكز التجارية فيها واحتكار تجارة الهند ذات الموارد العظيمة .

وبعد أن أصبح طريق البحر الأحمر آمنا كما اتضح سابقا أصبحت الصدقات والتجارة المجهزة الى مكة المكرمة والمدينة المنورة ترد عن طريق البحر دون أن تعترضها أى سفن أجنبية ، وقد أرادت الدولة العثمانية بهذه الاجراءات الادارية أن تدعم متابعة الدوريات البحرية في البحر الأحمر بين الشاطئ العربي والشاطئ الافريقي لاحكام السيطرة على مياه هذا البحر وبذلك تكون قد أمنت طرق التجارة "١" العربية بربط جدة بولاية الحبش وقد منعت سفن الدوريات العثمانية في البحر الأحمر السفن المسيحية أيا كان نوعها من الابحار في داخل

----

(١) مصطفى رمضان ، فائق الصواف ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣١

البحر الأحمر وحولته الى بحيرة اسلامية مغلقة ، بمقولة أنه يطل على الاماكن المقدسة الاسلامية فلا يجب أن تدنس مياهه بالسفن المسيحية ."١"

---

(١) عبد العزيز الشناوى، الدولة العثمانية ، مرجع سبق ذكره ، جـ٢ ص ص ١٩٧ - ١٩٨ .

د. سيد رجب حراز: عصر النهضة، مرجع سبق ذكره، ص ص ٢٠٢-٢٠٤

حواصل وشون جدة :

لقد كانت ترد المخصصات والصدقات الخاصة بمكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة ، من مصر وتستقبل في ميناء جدة ثم توزع بين مكة والمدينة ، وكانت في أكثر الأحيان ترسل مع أمير الحج فيضيع بعضها ويحتسب نقصا يدفع قيمته المسؤلين عن نقله .

وفي عام ٩٥١ هـ (١٥٤٤م) نقل حمل امره الحج الى ميناء جدة من ميناء الطور والسويس من المراكب الصغيرة المعدة لنقلها الى المراكب الكبيرة والسفن المعدة لحملها الى ميناء جدة وقد كثرت الشكاوى من أصحاب السفن من كثرة ظلم مرافقي محمل الحج وكذلك من كثرة أذى المسافرين لهم بالتوقف وتحميل أغراضهم بدون أجرة وأنهم يدفعون لهم القليل من الثمن ويحتسبونه لهم اجرة وأستمر الحال فترة حكم السلطان سليم الأول وطيلة مدة حكم سليمان وكانت هذه الصدقات "١" التي ترسل الى مكة والمدينة تقدر بسبعة آلاف اردب توزع بين أهالي مكة وجدة ماعدا التجار وأصحاب الحرف بحيث يخص كل فرد مقدار أربع كيلات ودينار ذهب "٢" ثم زاد السلطان سليم الثاني في الغلال وغيرها من الحبوب التي كانت ترسل لأهل الحرمين

---

(١) الجزيرى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤١٥ .

(٢) النهروالي ، الاعلام ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٤٥ .

الشريفين مكة المكرمة والمدينة المنورة والذى ذكرت بأنه يقدر بسبعة الاف اردب كما أمر لأهل المدينة المنورة بثلاثة آلاف اردب منها خمسمائة اردب على فقراء ينبع وخمسمائة على فقراء جدة .

كل هذه الصدقات كانت ترد الى جدة فتوضع في مينائها بدون أجرة للشون وعندما وضع الشريف يده على تلك الشون والمخازن وعمّر مكانها قصرا لاقامته ايام الموسم الهندى ولكن ذلك العمل سبب مضايقة لأمير الحج لأنه يحتاج الى مكان يضع فيه مخصصات الصدقة "١" التي يحضرها مع محمل الحج في كل عام . فصار يضع تلك المخصصات في فناء ملك لجماعة من الأشراف ولا يدفع لهم أجرا فتظلموا لذلك كثيرا ، الى أن عين لهم أمير الحج أجرة في مقابل

---

(١) المرجع السابق ، صفحات : ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩
الجزيرى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤١٦ .
مصطفى رمضان وزميله ، مرجع سبق ذكره ، ٣٣ .

ذلك .

وبذلك أصبحت للتجار مخازن يضعون فيها بضاعتهم بقرب الميناء ولكي لا تضيع هذه البضاعة وتتغير .(١)

---

(١) النهروالي ، المرجع السابق ، نفس الصفحات .
الجزيري ، المرجع السابق ونفس الصفحة .
المرجع السابق ونفس الصفحة .

الموسم الهندى "١" :

يلزمنا في هذا المبحث أن نتعرف أولا على التجارة في مطلع العصر العثماني ، وجدير بالذكر أن مواسم التجارة كانت تخضع للرياح صيفا وشتاء ، فكانت التجارة الهندية ترد الى موانئ البحر الأحمر في موسم معين تبعا لهبوب الرياح التي تهب من المحيط الهندى على البحر العربي وشرق افريقيا والبحر الأحمر فتساعد السفن المحملة بهذه التجارة على المجيء الى هذه الأماكن وفي فترة أخرى سنعينها فيما بعد كانت السفن تغدو ذاهبة الى الهند وجنوب شرق آسيا عندما تهب أيضا رياح أخرى عكسية تساعدها على الذهاب الى الهند ، وقبل أن نمضي في موضوعنا يجب أن نعرف شيئا عن نظام هذه الرياح .

---

(١) الموسم الهندى : مصطلح أطلقه الجزيرى في كتابه : درر الفوائد المنظمة على فترة مجيء السفن من الهند المحملة بالبضائع الشرقية وكان شريف مكة يحضر الى جدة في هذا الموسم ويقيم بها لتحصيل الجمارك من السفن المارة بجدة ايام الموسم الهندى .

انظر الجزيرى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤١٦ .

نظام الرياح الموسمية :

ان أهم مايميز هذه الرياح ان اتجاهها يتغير تغيرا تاما في معظم الأحيان مابين الصيف في شهر (يوليو) والشتاء في شهر (يناير) ... وتهب هذه الرياح بصفة خاصة على الهند ، والهند الصينية ، والصين وهي على نوعين : موسمية شتوية ، وموسمية صيفية ."١"

واذا تصورنا توزيع الرياح العام فوق سطح الأرض ، فاذا تذكرنا أن الرياح تهب من مناطق الضغط المرتفع الى مناطق الضغط المنخفض ، واذا تذكرنا أيضا أن الرياح في حركتها تنحرف الى اليمين في اتجاهها في نصف الكرة الشمالي وفي نصف الكرة الجنوبي وأهم الرياح السائدة هي الرياح التي تهب من منطقتي الضغط المرتفع دون المدارى أى من حوالي ٣٠° شمالا وجنوبا لخط الاستواء ،

---

(١) سليمان حزين وآخرون ، الجغرافيا الطبيعية والعملية ، وزارة التربية والتعليم سنة ١٩٦٥م ، ص ٢١٢ .
فيليب رفله ، أحمد سامي مصطفى ، الجغرافيا الطبيعية ، عام ١٩٧٠ ، القاهرة : ص ص ١٦٣ ، ١٦٤ .

ثم تخرج الرياح نحو منطقة المنخفض الاستوائي وهي تنحرف نظرا لحركة الأرض حول نفسها فتصبح شرقية ، وهذه الرياح التجارية الشرقية وقد سميت تجارية لأهميتها الكبرى في دفع السفن الشراعية المحملة بالتجارة وهي تكون اما شمالية شرقية شمال خط الاستواء ، وهذه تساعد السفن على الوصول الى البحر العربي ، أو جنوبية غربية جنوب خط الاستواء . والتي وضحها لنا هيبالوس الكاتب الاغريقي بأنها ذات أهمية عظيمة في منطقة الهند .

ان كل ماذكرت هو تمهيد لموضوعنا الذى هو الموسم الهندى لأن الموسم الهندى هو عبارة عن أشهر معلومة في السنة تصل فيها السفن "١" المحملة بالبضائع الى منطقة البحر الأحمر وجدة وتأخذ طريقها الى مصر ومنها الى أوروبا ، وتخضع في ذلك لمواعيد هبوب الرياح الموسمية ، وتصل في مواعيد سنوية لا تتغير وفي نفس الوقت تصل السفن الأوروبية من الغرب لحملها في مواعيد ثابتة وتعقد في ذلك الوقت المزادات وفي أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن

---

(١) نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها أواخر العصور الوسطى، ص ٢٨٣ .

Angelo perce, op, cit., P.8.

، عبد القادر بن فرج ، مخطوط سبق ذكره ، ص ص ٢٢ ، ٢٣

السادس عشر ترددت شكوى التجار الأجانب من اجبار عمال الجمرك لهم على الرحيل قبل شراء كل مايلزمهم وطالبوا بمد فترات المدة الموسمية وقد اجيبوا الى طلبهم ونص على ذلك في كل المعاهدات القديمة منذ العصور الوسطى .

والرياح الموسمية الطبيعية والتي تهب في فصل الصيف فيستبقها التجار بحيث يملأون سفهم بالرطب والفواكه الصيفية من الهند ويتجهون الى جدة مستغلين الرياح لتسهيل وصولهم . "(١) بتجارتهم الى مرفأ جدة ثم الى ميناء السويس ولهذا الغرض سمي بالموسم الهندى .

والمحصول الذى كان يأتي من جمارك هذا الموسم في جدة كان مناصفة بين شريف مكة ونائب جدة ، فكان يأتي شريف مكة ويجلس في المكان المخصص له هناك ليتسلم نصيبه كما قررته له السلطات العثمانية وقد تسبب هذا الأمر في اثارة الخلافات وكثرة المشاحنات بين نائب جدة وشريف مكة .

---

(١) نعيم زكي فهمي ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٢٣ .
، محمد غلاب ، مبادىء الجغرافية الطبيعية ، ص ٨٢ .
Angelo perce, op. cit., p.8.
عبد القادر بن فرج ، مخطوط سبق ذكره ص ص ٢٢ - ٢٣

ويذكر أحمد بن يزني دحلان عن هذه الفتنة ما ملخصه ،
وعلى الرغم من أن الطريق الى الهند من ناحية افريقيا كان مفتوحا بواسطة البرتغاليين الا أن استخدام البحر الأحمر كان سائدا بقية القرن السادس عشر الميلادى العاشر الهجرى بواسطة السفن أو السفن الشجاعة التي كانت تخترق الحصار وكانت ترسو في جدة لنقل البضائع الى مصر والى البحر المتوسط "١"

وفي سنة ١٥٦٠ م ذكر مندوب برتغالي الى الفاتيكان في روما أن ٥ر٤ مليون رطل من البهارات معظمها من الفلفل تصل الى الاسكندرية عن طريق البحر الأحمر كل عام . "٢"

---

(١) احمد زيني دحلان ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٣ .
ابن اياس ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٣٠ .
مصطفى رمضان وزميله ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٠

(٢) Angelo pesce, op. cit., P.90.

الفصل الخامس

سكان جُده وحضارتهم

- طوائف مجتمع جُـده .
- العادات والتقاليد .
- الناحية العمرانية .
- موسم الحج .
- أنواع الأقوات التى كانت تصل إلى ميناء جُده .

طوائف مجتمع جدة :

ان طوائف مجتمع جدة يمثلون فئات عديدة ومختلفة وهم خليط من الأحباش والمكيين واليمنيين والحضرميين والهنود والترك والشاميين والمصريين .

ومن أشهر الأسر بها بنو الشاذلي القرشي والشيخ علي بن عمر الأموى ، ومنهم الزيلعي من زرية عقيل بن أبي طالب ومنهم السادة الكرام المهادلة وآل باعلوى ، كما أن بها الشيخ أبو السرير ويقال انه قصد الحج بسرير خشب وضعه في الماء فسبق به المراكب وبها أيضا ضريح المظلوم الذى قتل من أجل حسرة ملح ولما قتل ظل رأسه يردد كلمة مظلوم ... مظلوم وبها العديد من الأولياء والصالحين"[1]"

أما عن عدد سكان جدة قبل القرن العاشر الهجرى ، فقد ذكر الشيخ عبد القدوس الانصارى في موسوعته " تاريخ جدة " نقلا

---

(١) عبد القادر بن فرج ، مخطوط سبق ذكره ، ص ١٤
احمد الحضراوى ، مخطوط سبق ذكره ، صفحات : ٣٩ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢ .
عمر رضا كحالة ، جغرافية شبه جزيرة العرب ص ص ١٦٣ ، ١٦٤
ابراهيم رفعت باشا ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٣ .
الشوكاني : البدر الطالع ، ص ص ٤٤٥ - ٤٤٦

عن ابن جبير انها قرية ضئيلة الشأن وغاية ماكشف لنا عنه ابن بطوطـــة انها قرية صغيرة جدا حتى ان ذكورها البالغين لا يكملون نصاب صــلاة الجمعة وهو أربعون شخصا "١"

ومن هذا المنطلق نستدل على أن عدد سكان جدة كـــان ضئيلا جدا حيث ان عدد الذكور فيها لا يزيد على الأربعين شخصــا ، وفي فترة القرن العاشر الهجرى نجد صعوبة في تقدير عدد سكان جدة لأنه ليس لدينا معلومات عن هذا الموضوع ، وفي الغالب أن عـــدد سكانها تضاءل في مطلع القرن العاشر نظرا لنضوب الموارد التجاريـة الشرقية الهندية بسبب سيطرة البرتغاليين على هذه التجارة وتحويلهــا الى طريق رأس الرجاء الصالح ، وبسبب تحويل جدة الى مركـــز عسكرى محصن ترابط فيه القوات العثمانية باستمرار .

أما في زمن صاحب الرحلة الحجازية في مطلع القرن العاشر فيذكر عنهم انه كان يغلب على سكان جدة الطابع البدوى ، وان حظهم من التعليم كان قليلا أو شبه معدوم ، ولكن وضعهم الاقتصادى بـــدأ في التحسن لتغير الأوضاع الاقتصادية ، فأكثرهم اغنياء وتبلغ ثـــروة الواحد منهم حوالي مليون من الجنيهات "٢" وذلك بسبب عـــودة

----

(١) عبد القدوس الانصارى ، مرجع سبق ذكره ، ص ١١٠

(٢) البتنوني ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٩ ، ١٠ .

التجارة بعد فتح قناة السويس ، ويوجد من بين هؤلاء السكان الفقهاء والعلماء والحرفيين ، وسأقوم بالتحدث عن كل فئة من هؤلاء على حدة .

والباحث يجد صعوبة في الحصول على التراجم لبعض العلماء والمشتغلين بالتعليم في جدة في هذه الفترة وليس لدينا في المراجع الموجودة بين أيدينا والتي كتبت عن القرن العاشر الهجري سوى معلومات قليلة عن بعض العلماء الذين عاشوا في جدة أو نشأت أسرهم في هذه المدينة أو كانت لهم صلة بمدينة جدة في القرن العاشر الهجري وكان من هؤلاء آل ظهيرة وهم من قريش مكة ثم الحجنيون ثم بيت المساوى ، ثم بيت فرج وقد اشتهر منهم أحمد بن فرج والسيد احمد بن سعيد "١" وعبد القادر بن فرج مؤلف كتاب " السلاح والعدة في تاريخ جدة " .

وقد اشتهر في فترة القرن العاشر الهجري من آل ظهيرة القاضي صلاح الدين بن محمد بن محب الدين أبي السعود بن ظهيرة القرشي المكي الشافعي الذى تولى قضاء جدة مدة من الزمن ويقال

----

(١) احمد الحضراوي ، مخطوط سبق ذكره ، ص ٣٣ .
عبد القادر بن فرج ، مخطوط سبق ذكره ، صفحات : ١٢ ، ١٣ ، ١٤ .

ان له مؤلفات عن جدة لا نعرف عنها شيئا سوى ماذكره ابن فـــرج والحضراوى بقولهما : " ذكر القاضي صلاح الدين بن ظهير " قاضي جدة الذى توفي عام ٩٨٠ هـ (١٥٨٣م) "١"

وابن فرج هو الشيخ عبد القادر بن أحمد بن فرج الشافعـــي الخطيب في جدة وله رسالة عن جدة هي كتاب السلاح والعدة فــــي تاريخ بندر جدة وتتكون من ست واربعين صفحة وهو مصدر رئيســـي لبحثنا فقد اعتمد عليه البحث في مواطن كثيرة وقد توفي عام ١٠١٠ هـ (١٦٠١م) "٢" وقد كان أغلب سكان جدة لهم مراكز ومنازل في مكـة والعكس صحيح اذ كان في هذه الفترة يوجد بيوت لأسر أشراف مكة فـي جدة وكانوا يعتبرون من بين سكانها ، فكان شريف مكة أيام الموســـم الهندى يأتي الى جدة لتقسيم المخصصات .

----

(١) مجلة العرب ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٣٨ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ص ١٩٨ ، ١٩٩ .

أصحـــاب الحرف :

بالاضافة الى سكان جدة العلماء والفقهاء هناك الحرفييـــن أصحاب الحرف الذين يقومون بعدة أعمال ، منها صيد السمك ، اذ كان الأهالي يذهبون الى البحر على قطع خشبية تتكون من ثلاثة أو أربعة قطع طولها ستة أقدام مربوطة بالحبال " لأنهم في تلك الفترة لـم يتسعملوا المسامير خوفا من أن تصدأ " "١" ويبحرون بها على بعـــد نحو ثمانية الى عشرة أميال من الشاطيء لاصطياد السمك مستعمليـــن عودا كمجداف وقد يخرجون للصيد في أى طقس سواء صيفا أو شتاء وفي حالة هدوء البحر أو قوة أمواجه كما يقومون بالغوص لجمع المرجـــان الأسود الذى يوجد حول الشاطيء ويعرف باليسر أو الابنوس والـذى تصنع منه السبح ومصاصات السجائر كما يستخرجون المرجان الأحمـــر الذى اشتهر وجوده في هذه المنطقة . كما يقوم سكان جدة بالعمل في التجارة وذلك لأن جدة مركز تجارى عظيم منذ القدم فقد قـــال : " البشارى سكان جدة أهل تجارات وهي خزانة مكة(٢) " قال صاحب

---

(١) Angelo Perce, op. cit., p.31.

الحضراوى ، مخطوط سبق ذكره ، ص ص ٦٣ ، ٦٤ .
دائرة معارف البستاني ، مرجع سبق ذكره هـ ٦ ، ص ٢٠٤
(٢) المقدسي : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ص ٧٩

زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك غرس الدين : " وأما جدة فهي ميناء مكة المشرفة ترد اليها المراكب بالبضائع وهي من أعظم المواني وربما يردها في كل عام أكثر من مائة مركب من بينها مركب بسبعة قلوع " "١" وكان ذلك زمن وجود مؤلف هذا الكتاب .

---

(١) غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري ، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، ص ١٤ .

العادأت والتقاليد :

لا شك في أن لكل بلد عاداته وتقاليده ولكل زمان أيضا عاداته وتقاليده ، ومن عادات سكان جدة في فترة القرن العاشر الهجرى أنهم كانوا يعتقدون في قبر حواء أم البشر الذى يوجد بظاهر جدة ، فكانوا اذا تأخرت عليهم مراكب الهند يأخذون رجلا من البحرية ويزفونه " بالطبول والزمور " من داخل البلد الى القبر المذكور فاذا وصلوا هناك سقط مغشيا عليه من شدة التعب فيسألونه عن خبر المركب فيذكر لهم هل المركب سليم أو محطم وأين هو ؟ وكانوا يعتقدون في الكرمات ومن هذه الكرمات ما أشيع عن الشيخ علي المساوى حيا وميتا . فان أحدهم قال : " كنت جالسا في مسجد العتبة وأنا ضيق الصدر فقلت : لا اله الا الله محمد رسول الله فرأيت التابوت قد تحرك وسمعت صوتا يقول أحسنت يامساوى لقد أحييت قلبي " "١"

بهذه الكلمة ، ومما أشيع في هذه الفترة عن كرامات الشيخ علي انه كان يوجد بيت يقع مقابلا لتربته شمال المسجد فدخله لص وحمل منه صندوقا على رأسه وأراد الخروج من النافذة الموجودة في واجهة

---

(١) عبد القادر بن فرج ، مخطوط سبق ذكره ، صفحات : ٣٠ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ .

البيت فرأى اللص أسدا باركا على باب تربة الشيخ المساوى وأسدا آخر على باب تربة الشيخ عبد القادر الجيلاني فخاف اللص من الاسدين ولم ينزل واستمر متعلقا في النافذة والصندوق على رأسه الى أن طلع الصباح وأمسكوا به . "١"

ويذكر ابن فرج أن أهل جدة كان من عاداتهم اذا اجتمعوا للصلاة يوم الجمعة يأتي المؤذن ويعد الحاضرين فاذا بلغ عددهم الأربعين خطب فيهم وصلى بهم الجمعة والا صلى بهم ظهرا ونأخذ من هذا أن سكان جدة في هذه الفترة قليل ولم يصل عددهم في المسجد الى اربعين شخصا وهذه الرواية تعطينا فكرة واضحة عن تعداد السكان وأيضا عن مسألة اقبالهم على صلاة الجمعة وربما يكون ذلك راجعا الى أن أكثرهم يعمل بالصيد والغوص بحثا عن المرجان منصرفين في أعمالهم في أوقات الصلاة ، فقد كان أكثرهم يعمل في البحر مثل صيد السمك واستخراج المرجان .

ومن عاداتهم أيضا اكرام الضيف والمروءة والسمر وحمل العصا المسماة عصى اللوز والرغبة في عتق العبيد وحب العمل وعدم الاتكال على الغير ، ومن عاداتهم أيضا في الزواج اذا أراد الرجل أن يخطب

---

(١) المرجع السابق ، صفحات : ٤٢ - ٤٤ .

بعث بنساء من أسرته الى نساء أسرة أهل الفتاة ليتفقوا معهن وان وجدن لديهن الرغبة يأتين ويصفن العروس هل هي جميلة ؟ أم غير مايتوقع العريس فهي غير مناسبة (طريقة الخاطبة) فان وجدن "١" ماينا سبهن ووجدن القبول عندها يتقدم الرجال ليتم الاتفاق على الخطبة ، ومن عاداتهم أيضا الاحتفال بختم القرآن في شهر رمضان المبارك كذلك كانوا يحتفلون بالعائد من الحج والمدينة المنورة .
ومن عاداتهم أنهم كانوا يرتدون اللباس الأحمر والأصفر والأخضر ويتشابهون في ذلك مع أهل مكة والمدينة المنورة ، ومن عاداتهم في اللعب فهناك لعبة الكرة والاستغماية والزقيطة والمدوان والكبوش والشطرنج والمزمار والطنبرة (طنبرة العبيد وهي مثل الطبل وتربط على البطن) والكيرم والجوقر والبلوت والرياضة البدنية ، وكذلك الغناء والموسيقى أما عاداتهم في الطعام فهي الشراب واللحم المقلي

---

(١) احمد الحضراوى ، مرجع سبق ذكره ، صفحات : ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٦ .
دائرة معارف البستاني ، مرجع سبق ذكره جـ ٦ ص ٤٤ .
عبد القدوس الانصارى ، مرجع سبق ذكره ، صفحات : ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ .
القاسم التجيبي ، مستفاد الرحلة والاغتراب ، ص ٢١٨ .

والمربيات بأنواعهما ، أما الشراب فهو الشاى والقشر وعصير الفواكه وخاصة الرمان . وكانوا يبنون على دورهم قبات تمثل مدى غنى أصحابها . "١"

---

(١) القاسم التجيبي ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢١٨ .
عبد القدوس الانصارى ، مرجع سبق ذكره ، صفحات :
١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٨ .

الناحية العمرانيـــة :

الواقع أن المعلومات عن جدة في هذه الفترة قليلة جدا وكذلك المعلومات عن مبانيها وعمائرها قليلة جدا ونادرا ماتجد مؤرخا يحدثنا بافاضة عن الناحية العمرانية ، ولكننا نجد في هذا المبحث عناء شديد في جمع نتف من هنا ونتف من هناك لعلنا نجد ما نطلبه مـــن معلومات .

أما عن أولئك الرحالة والمعاصرين الذين حدثونا عن جـــدة في القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى فيأتي في مقدمتهم الشيخ ابن فرج مؤلف مخطوط " السلاح والعدة في فضائل جدة " ذلك الرجل الذى حدثنا عن سور جدة وطريقة بنائه بصورة موسعة ولعل أعظم عمل معمارى في تاريخ جدة هو بناء سورها العظيم الذى قـــام بعمارته حسين الكردى نائب جدة بتكليف من السلطان المصـرى قانصوه الغورى . "١"

نحن هنا مضطرون لأن نتكلم عن سور جدة من الناحيـــة العسكرية ، ونأتي هنا الى وصف السور كما أورده صاحب مخطوط

---

(١) ابن اياس ، مرجع سبق ذكره ، صفحات : ٨٤ ، ٩٥ ، ٩٦ .

" السلاح والعدة ... " وكان ارتفاع السور من الأساس حتى أعلاه (١٢ ذراعا) وطول محيطه من ناحية مكة واليمن (٣٠٠٠ ذراع) وعرض جداره أربعة أذرع ، أما الأبراج فكانت ستة أبراج ومحيط كل برج منها ستة أمتار ، ومحيط كل برج منها ستة عشر ذراعا ، وارتفاعه من على وجه الارض خمسة عشر ذراعا منها برج شامي تجاه الشمال وآخر يماني تجاه الجنوب وبرجان قبليان ملاصقان لباب البلد تجاه مكة يسمى أحدهما باب الفتوح والآخر باب النصر "١"

أما البرجان فقد نزل بهما الغواصون في البحر اثنا عشر ذراعا "٢"

---

(١) ويلاحظ أن تسمية باب الفتوح وباب النصر مأخوذة من تسمية البابين الشماليين للقاهرة المعزية .

(٢) ابن اياس ، نفس المرجع السابق ونفس الصفحة .
نص الشيخ عبد القادر بن فرج على أن هذا الذراع هو ذراع العمل وأضاف انه أى ذراع العمل هذا ذراع ونصف بذراع النجار ، وبالرجوع الى علي مبارك في خططه وهو أهم مصدر تعرض لتقدير الأطوال تبين لنا أن ذراع النجار التي أشار اليها ابن فرج تبلغ نحو ٧٧٫٥ سم فتكون ذراع العمل التي قدر بها ابن فرج أبعاد سور جدة هي :
٧٧٫٥ × ١٫٥ = ١١٦٫٢٥ سم .
ز انظر مصطفى رمضان وزميله ، مرجع سبق ذكره ، ص ٨ .

ويذكر ابراهيم رفعت باشا أن المسافة بين السور من أقصاه الى أقصاه أى قطر السور يقطعه راكب الحصان بالسرعة المعتادة في خمس وأربعين دقيقة كما ذكر أن ارتفاع السور على أيامه أربعة أمتار ، هذا ماكان من أمر السور .

أما المباني فقد اتخذ البناؤون في عمارتها خصائص معمارية خاصة سارت حسب طبيعة البلد حيث قاموا بالتمشي مع هذه الطبيعة بطريقة تتناسب مع مناخ جدة ، اذ نرى الشوارع الضيقة المتعرجة عملت بطريقة ليتخللها نسيم البحر الأحمر الذى يهب على المنطقة من الشمال الغربي .

ويلاحظ أن المباني كانت عالية وبارزة وذلك لتجلب أكبر مساحة من الظل ، لأن توافر الظل وتيار الهواء المستمر يؤدى الى انخفاض درجة الحرارة في الخارج وفي داخل المنازل وقد تعمد البنائون أن يجعلوا الأسقف عالية لدرجة معينة كما أنهم كانوا يعملون النوافذ عبارة عن شرائح خشبية " بطريقة الشيش " "١" لتجنب أشعة الشمس وتساعد على تكوين تيار هواء بارد ، ومساكن جدة تشبه مساكن مكة المكرمة

---

(١) نشرة مركز المعلومات والانجازات ، جدة ، الخدمات الترفيهية ، الاربعاء ١٧ شعبان عام ١٣٩٩ هـ ١١ يوليو ١٩٧٩م ص ٩ .

والمدينة المنورة فهي تتكون من طبقتين الى خمسة طوابق ، وتصنع الشرفات في جهاتها الأمامية من الخشب الهندى الأحمر المخروط "١"

ولقد عرفنا أنه كان يحيط بجدة سور عظيم وله عدة أبواب منها باب الدوحة من جهة الشام ، وباب المدفعية في جهة اليمن ، وكان عليه حجر أخضر فيه طلسم أشيع عنه في اعتقاد العامة انه كانت له بعض المنافع حيث يقال انه اذا سرق شيء من المدينة وجد في اليوم التالي اسم السارق مكتوب على الحجر . والباب الآخر هو باب مكة جهة القبلة وباب الفرضة مما يلي البحر ، هذه الأبواب ذكرها صاحب السلاح في مخطوطه " . "٢"

أما خطوط المواصلات في جدة فهي طبيعية في ذلك الوقت تمتد من الشرق عبر فتحة على جانب التلال السفحية تقود نحو مكة المكرمة وعبر فتحة أخرى ناتجة من جراء مجرى نهر قديم في الغرب داخل شعب مرجانية تمتد نحو ممرات الملاحة في البحر ، وفي الشمال تسير نحو المدينة المنورة . "٣"

---

(١) نشرة مركز المعلومات والابحاث ، مرجع سبق ذكره ، ص ٩

(٢) ابن فرج ، مرجع سبق ذكره ، ص ٩ .

Angelo perce, op. cit., P.31.

دائرة المعارف الاسلامية ، مرجع سبق ذكره ، جـ ٦ ، ص ١١٣

(٣) نشرة مركز المعلومات ، مرجع سبق ذكره ، ص ٦ .

وأما أسواق جدة فأولها سوق الندى "١" ، وهو سوق مستطيل وسمي بذلك لوجود الندى فيه وهو في غاية اللطافة وبه بعض مخـــازن التجار وغيرهم وكذلك سوق الجامع ، وسمي بذلك لأنه يوجد فيه مسجد الجامع المعروف بمسجد الشافعي ، وهذا السوق تقابله وأنت داخـــل من باب مكة على جهة اليمين ثم سوق النبط وسوق مجمع الصياديـــن وفيه يباع السمك الطازج والتمر وأنواع السبح اليسر ، وهذا السوق أيـــام الموسم يكون في أشد الازدحام مع كثرة الحجاج ، وسوف بره الـــى خارج البلد "٢" وسمي بذلك لأنه خارج البلد وسوق الخاسكية ، وتختلف سعة شوارعها من ثمانية الىعشرة أمتار وحاراتها ضيقة كثيـــرة التعاريج .

أما الأحواش "٣" المحتوية على قصور عوالي ومرافق أعظمها الحوش المعروف بحوش الشريف قريب من سوق النبط ، وكان معـــدا

---

(١) مايزال هذا السوق في موضعه فيجدة حتى يومنا هـــذا عام (١٤٠٢ هـ) .

(٢) احمد الحضراوى ، مخطوط سبق ذكره ، ص ص ٢٥ - ٢٦

(٣) الحوش : هو المكان المتسع الذى يشبه الساحة متصل بالمنزل ومسور بسور واحيانا يكون الحوش بدون منزل ومحاط أيضـــا بجدار وله باب واحد أو أكثر .

للحجاج والتجار وحوش الدولة ، وحوش عكاشة وحوش النخلة وجملة أحواش أخرى ، وهناك أكشاك عدة على البحر منها كشك حوش الشرايبي وأبنيتها بالحجر الجبلي والبحرى كما يوجد في جدة عدة خانات "١" وهي الفنادق معدة لنزول الغرباء ولها مساحة في الوسط ، الدور الأسفل للمؤن أما الأدوار العلوية فهي للنزلاء ويوجد عدة خانات في جدة وحالما يصل المسافر فانه يبحث عن غرفة ومكان لا متعته ولذلك يدفع للمالك مبلغا معينا لا يزيد ولا ينقص ، وتعتبر هذه الخانات أماكن آمنة للنزلاء حيث لا يوجد بها مضايقات أو سرقات ، ولكن الشيء الغير مريح هو أن هذه الخانات مزودة بكل وسائل الراحة والاحتياجات الضرورية للنزلاء حيث لا يوجد بها أثاث ، فالنزلاء هم الذين يشترون الأساس ، وهم أيضا يشترون اللحم ويطبخونه وهناك العديد من الخانات مثل الخان الكبير بقصبة الهنود ، وهو محل تجار الأقمشة وخان الدلالين قريب من سوق النبط وخان العطارين ، وأما المقاهي "٢" فهي نحو مائة مقهى ، ويوجد بجدة عدة مساجد من أشهرها المسجدان العظيمان اللذان ينسبان الى سيدنا عمر بن الخطاب ولكن صاحب

---

(١) الخان : عبارة عن فندق في وقتنا الحاضر غير أنه يزيد بمكان يربط فيه الدواب للمسافرين .

(٢) القاسم التجيبي ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢١٩ .
الحضراوى ، مخطوط سبق ذكره ، ص ٣٢ .

الرحلة والاغتراب الذى كان يعيش في فترة القرن السابع الهجرى يذكر بأنهما من عصر عمر بن عبد العزيز "١" ، وان أحدهما يسمى مسجد الأبنوس وذلك لوجود ساريتان فيه من الابنوس عن يمين المحراب مخروطة يحسبها الرائي من الرخام الأحمر ، ويذكر صاحب الرحلة الورثيلانية أن هذه الأعمدة جلبت من الحبشة في صدر الاسلام "٢" ، وهذا المسجد معروف الى زمن تقي الدين الفاسي فيما بين ق ٧-٨ هـ أما الآخر فهو مجهول في زمنه فيما بين ق ٧ - ٨ هـ ويذكر الشيخ النهروالي وعبد القادر بن فرج وهما معاصران لفترتنا القرن العاشر الهجرى . ان المسجد الثاني هو المعروف بمسجد الشافعي فقد أعاد بنائه الملك المظفر ملك اليمن وهو الذى تقام فيه صلاة الجماعة الى عام ٩٤٤ هـ (١٥٣٧م) "٣"

---

(١) القاسم التجيبي ، المرجع السابق ونفس الصفحة .

(٢) القاسم التجيبي ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٩ .

(٣) القاسم التجيبي ،المرجع السابق والصفحة .

، تقي الدين الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام . ص ٨٨

، الرحلة الورثيلانية ، المرجع السابق ، ص ٤٣٨ .

، النهروالي ، الاعلام ، مرجع سبق ذكره ، ٨٢ .

ويذكر لنا ابن فرج قصة طريفة ، على أنه جاء رجل من الهند اسمه محمد علي بجميع المونة من الأخشاب والدعائم والكراسي وقواعد منجورة من الهند ثم دفن الأرض " أى ردمها " بالتراب من أجل التعلية لأن أى مدينة مع طول الزمن والهدم والبناء ترتفع أرضها وتظل المساجد والأبنية كما هي وعند عمارتها تردم ،ولعل هذا السبب في انخفاض كثير من المباني ومنها المساجد في جدة حتى الآن وبعد أن ردم أرضية المسجد التي كانت ينزل لها بأربع درجات ولم يبق عليه الا المنارة فانها باقية من زمن الملك المظفر الى تاريخ ابن،فرج الذى هو القرن العاشر الهجرى ، وأما منبر الخطيب فقد عمل في جدة على يد أبي العبد النجار وقيل أن المال الذى وصل الى جدة مع الخواجة محمد علي من الهند والأخشاب والمونة لعدد من الوزراء الهنود ثم أن الخواجة علي بنى بيوتا ودكاكين من المال الذى أتى به ثم توفي قبل اكمال البناء وقبل كتابة الحجة التي تشهد له بالوقف ثم انّ امرأة الخواجة محمد علي ادعت أن هذه البيوت والدكاكين ملكا لوالدها عمرها بماله ولم يوجد مايدفعها به من أوراق وغير ذلك واستمر الجامع ليس له مايستفاد به ويستعان به على اقامة شعائره من الأوقاف "١"

---

(١) عبد القادر بن فرج ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٣١-٣٢ .

كما يوجد بجدة المسجد العتيق وهو أحد المساجد الثلاثة وأكبرها وأقدمها ويقال انه أول مسجد في جدة وان سيدنا عمر أمر ببنائه كما أن بها المسجد الحنفي والمسجد المالكي ومسجد عكاشة والجامع الذى بناه الأمير حسين ومسجد الحداد ومسجد العنبة لأنه كان فيه كرمة عنب بجوار ضريح لرجل صالح مجهول ، ومسجد شميلة بناه رجل من وزراء الشريف حسن بن عجلان "١" ، الذى كان واليا في مكة وعزل من الولاية ثم أعيد مرتان وكانت مدة ولايته ٣١ عاما "٢" ، ومسجد الخضر عليه السلام وسبب تسميته الى الخضر لما يذكره الناس انه روئى فيه كما أن بها مسجد يسمى بالدمغاني أو البيروني ، ومسجد الباشا ومسجد العمار ، ومسجد الحضارم والمسجد المسمى بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم "٣" كما أن بجدة بعض الزوايا "٤" منها زاوية محمد الفاسي وهي مجمع للفقراء الصادقين والأولياء. "٥"

---

(١) ابن فرج ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٣١ - ٣٢ .

(٢) محمود شاكر ، تاريخ شبه جزيرة العرب ، ص ١٣٣ .

(٣) ابن فرج ، مرجع سبق ذكره ، صفحات : ٣٧ ، ٤٤ ، ٤٥
ناصر خسرو ، سفر نامه ، ص.ص ١٢٠ - ١٢١ .

(٤) الزاوية : هي المسجد الصغير .

(٥) القاسم التجيبي ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢١٩ .
البتنوني ، مرجع سبق ذكره ، صفحات : ١١ ، ١٢ ، ١٣ .
ابن جبير ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٣ .

قــبر حواء :

ويوجد في الجهة الشرقية من جدة على مسافة نحو كيلو متر مـــن باب جدة الشرقي الذى يسمونه باب مكة قبة وعليها سور يفتح بابـــه للغرباء يرى في مدخله زمن الحج كثير من الشحاذين فاذا دخل أحــد من هذا الباب وجد أمامه رأس قبر طويل ممتد الى الشمال بمسافـــة مائة وخمسين مترا وارتفاعه متر وعرضه نحو ثلاثة أمتار ، وهذا المكـــان يسمونه قبر حـــــواء ، وهـــو أشبه شيء "١" بقناة ممـــدودة من طرفها الجنوبي بثلاثة حوائط وطول كل حائط أربعة أمتار فـــي ارتفاع مثلها في كل منها نافذة تخرج منها فروع كبيرة تكاد تسد فـراغ هذا المربع الذى هو مكان الرأس ، كما يعتقدون ، وفي نهاية هـــذا المستطيل من جهة القدمين وعند نهاية القبر يوجد أناس متطوعــون يرشدون الزائرين عن مكان الرأس والقدم وفي نحو ثلثي طول القبر من جهة الرأس توجد قبة بفتح بابها الى الغرب وفيها نافذتان على جهتي القبر وفي وسطها مقصورة من الخشب عليها ستر من الجوخ فيها باب مقابل لباب القبة يفتحها خادم المقصورة وتعرف بأنها مكان " السـرة" ويقول صاحب الرحلة الحجازية انه نظر داخل المقصورة فوجد حجـرا كبيرا يبلغ طوله نحو متر محفور من وسطه وهو أشبه بمذبح ويضيـــف

---

(١) البتنوني ، المرجع السابق ونفس الصفحات .

ابن جبير ، نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحات .

صاحب الرحلة الحجازية قائلا "مرّ بخاطري أن هذا المكان ربما كان لقضاعة فيه قبل الاسلام هيكل لحواء أم البشر يعبدونها فيه لأن قبر حواء كان من الهياكل المقدسة في الجاهلية ، ولما جاء الاسلام ومحا جميع هياكل الوثنية ومن ضمنها هذا الهيكل بقي أثره فأقاموا له قبة لا ندري متى كان تشييدها لتكون مزارا للناس" "١"

وقد ذكر ابن جبير في رحلته ان بجدة موضع فيه قبة مشيدة يذكر أنها منزل حواء أم البشر عند توجهها الى مكة ويقول البتنوني " على كل حال فانا لو صرفنا النظر عما غيره الطوفان من معالم الأرض خصوصا في الجهات البركانية التي منها هذه البلاد " "٢" اذ يجب الا نصدق بأن هذا هو قبر حواء واذا نغالط أنفسنا وننسب ذلك المكان لحواء فنقول : انه منزل سكناها لأنه غير متناسق ليكون قبرا لأن المسافة كبيرة بين موضع الرأس وموضع القدم ، وكذلك قولهم بأن القبة على مكان "٣" السرة لأنه كان الأولى بها أن توضع على

----

(١) البتنوني ، مرجع سبق ذكره ، صفحات : ١١ - ١٢ - ١٣ .

(٢) نفس المرجع السابق ، صفحات : ١٣ - ١٤ - ١٥ .

(٣) احمد الحضراوى ، مخطوط سبق ذكره ، صفحات : ٥ - ٧ - ٦٧ - ٦٩ .

مكان الرأس ، وهنا يتضح أن المسافة بين الرأس والسرة ضعف المسافة بين السرة "١" والقدمين ، وهذا مخالف لطبيعة الانسان ومخالف لشكل بني آدم ، أما الموارد الاقتصادية في جدة فأهمها التجارة فهي تستقبل تجارة الهند والصين وجزر الهند وتجرى تجارتها على مراكب الانجليز والعثمانيين والمراكب الوطنية يحمل كل منها ثمانين طنا ومن صادراتها ، البن ، والصمغ ، والطيب ، والبلسم ، والبخور ، والسنا ، والعاج ، والمضر ، والخيار شمبر ، وصدف اللوءلوء ، واللوءلوء ، وتروس السلاحقة ، وريش النعام ، والمرجان والتمر ، والسكاكين ، والخزف ، والجلد .

وأما وارداتها فهي : القمح من مصر والمعادن والزجاج ، زجاجات العطر والصابون والجوخ والحرائر والمنسوجات القطنية من أوروبا والأرز والسكر والخشب والقطن والموصلينا "٢" والمناطق "٣" من الهند ، والسمك والهفال والعبيد من افريقية "٤" .

---

(١) عبد المنعم الحميرى ، الروض المعطار ، ص ١٥٧ .
الرحلة العياشية ، مرجع سبق ذكره ، هـ ٢ ، ص ١٠٤
الشريف حسين باشا ، الرحلة اليمانية ، ص ١٤٥ .

(٢) نوع من القماش الخفيف الذى يستعمل للعمائم .

(٣) الحزام أو نوع من الأقمشة يستعمل لذلك .

(٤) احمد الحضراوى ، مخطوط سبق ذكره ، صفحات ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ .

موسم الحج :

لا يزال موسم الحج هو الموسم الذى تلتقي فيه الأرواح بخالقها وكل منا يعرف أن فريضة الحج هي الركن الخامس من أركان الاسلام وقد فضل الله سبحانه وتعالى هذه البلاد المقدسة التي يفد اليها جميع المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها لأداء هذه الفريضة الاسلامية .

ولقد كان الحجيج يصل الى مكة على شكل فرق مكونة من القوافل كانت أولا برية ثم أصبحت بحرية تصل الى مكة وعلى رأسها شخص من رجال الدولة يكون مسؤولا عن هذه القافلة يسمى أمير الحج وبمناسبة ذكر أمراء الحج اتحدث هنا عن أمراء الحج الذين مروا على جدة وقد ذكر لنا الجزيرى في كتابه : (درر الفوائد ..) انه في عام ٩٤٥ هـ (١٥٣٨م) حج سليمان باشا الوزير بعد أن عاد من اليمن والهند بتلك العمارة الكبيرة في تلك السنة الى جدة وبعد ذلك دخل الركب المصرى الى مكة المشرفة صحبة مصطفى أمير اللواء الشريف وأمير الحاج كان سليمان باشا تقدم وصوله فجلس عند مقام السادة الحنفية جالسا على كرسي تجاه الكعبة المعظمة ، وقد قابله السيد الشريف أحمد بن أبي نمى أمير مكة أما والده فلم يتقدم لمقابلته وخاف من شر عذره ولكنه قابله في المطاف ليلا بالصدفة ورأى

معه عبيدا متقلدين السيوف فسلم عليهم وفي يوم عرفة مرّ السيد أبو نمى بموكبه على خيمة سليمان باشا فخرج من خيمته ينتظره فلما وصل الى الخيمة أومأ له بالسلام عند رؤيته وهو في حالة ركوبه ووطئت فرسه خيمة الباشا ، ثم عاد سليمان الى ينبع وبعد ذلك توجه الى القاهرة ولم يذكر أمر من أمور الحج "١" .

أما بالنسبة للأحمال التي كانت ترد الى جدة عن طريق البر فقد تغير سيرها وأصبحت تأتي عن طريق البحر ، فقد أصبح حمل أمرة الحاج ينقل من الطور الى السويس ليصل بطريق البحر بدلا من البر لأن المسافرين كانوا يضيعون أحمالهم بدون أجرة فتحسب أجرته نقصا على المسؤول عن ايصاله فقد كان المقرر لهم أجرة حمل أمير الحج من الطور الى جدة اثنا عشر نصفا والى ينبع عشرة عن كل حمل ، ولكن كانوا يخافون على هذه الأحمال من المرور في بركة الغرندل "٢" هذا بالنسبة للأحمال والمسافرين .

---

(١) الجزيرى ، مرجع سبق ذكره ، صفحات : ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٣٨٣ .

(٢) بركة الغرندل مكان في البحر الأحمر وهو الذى أغرق الله فيها فرعون وقومه ، الجزيرى ، ص ٣٨٤ .

أما بالنسبة لأهل الحجاز فقد كانت هناك عادة لأهل مكة "١"
أن يخرجوا الى جدة بأمر من شريفها ويأخذوا على كل حاج سبعة دنانير
سواء الغني منهم والفقير وكانت حجتهم كما قالوا على لسان الشريف في
مكة نحن قوم ضعفاء ومالنا الا هذه الجهة والملوك على البلاد ولا يبرونا
بشيء ، فأبطل صلاح الدين ذلك وأوقف عليهم بذلك أوقاف بمصر
واليمن في مقابل ابطال هذه الكوسى الظالمة ، ويقول الجزيرى : انه
عوّضهم على ذلك حوالي ٨ آلاف اردبا من القمح كانت تحمل الى ميناء
جدة كل عام ، وهذا نص ماذكره الجزيرى :

" ذكر الشيخ أبو عبد الله علوان بن الاستاذ عبد الله بن
علوان الأسدى الحلبي ذكره الصاحب كمال الدين عمر بن العديم في
(تاريخ حلب) ونص ماذكره في ترجمته فانه قال وهو الذى أبطل
عن أهل مصر والمغاربة الحجاج فان العادة كانت جارية "٢"
عندهم أى أهل مكة انهم يخرجون الى جدة ويأخذون على كل انسان
سبعة دنانير وينهبونهم سواء كانوا فقراء أو أغنياء ، فلما بلغ الشيخ ذلك
قال للملك الناصر في عام ٥٧٢ هـ (١١٧٦م) سيرني في مركب

----

(١) المرجع السابق ، صفحات : ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٧٠٠

وأمر صاحب المركب اني متى قلت له ارجع يفعل ذلك ، وسيره في مركب صغير ، فلما وصلوا الى مرسى جدة جاءهم انسان أسود من مكة ومعه ميزان وطالبهم بالمكس المعهود وقال لهم أدوا الحق فقال له الشيخ علوان وما الحق ، فقال الحق على كل رأس سبعة دنانير فلطمه الشيخ وقال :

ويلكم تسمون المظالم حقا وقال لصاحب المركب ارجع فعاد فاستغاثوا اليه وقالوا : على رسلك حتى نعلم الأمر فوقف الى أن طالعوا صاحب مكة بأمره فقال : اطلعوه وجميع من معه في المركب ففعلوا ذلك ، فلما وصل الى مكة اجتمع به صاحبها واعتذر له وقال : نحن قوم ضعفاء ، ومالنا الا هذه الجهة والملوك قد استولوا على البلاد ولا يبرونا بشيء ، فعند ذلك كتب الشيخ علوان الى الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب فشفع فيهم وطلب لهم منه شيئا فأقطعهم الأقطاع المعروفة بهم بمصر وبطل ذلك المكس الذى كان يؤخذ من الحجاج والذى عوضه السلطان للشريف مقابل ذلك من النقد الفان من الدنانير ومن القمح الفاارد با واقطاعات بصعيد مصر وجهة اليمن وقيل أنه عوضه بعد ذلك ثمانية آلاف اردب من القمح تحمل اليه كل عام الى ساحل جدة وبذلك تكون قد زالت تلك العادة القبيحة ببركة الشيخ علوان . "١"

---

(١) نفس المرجع ، ص . ص : ٧٠ - ٧١ .

أنواع الأقوات التي كانت ترد الى الميناء :

ان الغلال التي كانت ترد الى الحرمين الشريفين والى ميناء جدة من مصر كانت تختلف من عام لآخر لأن هذه الغلال عندما وردت أول الأمر الى مكة وجدة في بداية العصر العثماني عام ٩٢٣ هـ (١٥١٧م) عندما وصلت الى ميناء جدة مراكب من السويس فيها سبعة آلاف اردب من القمح وهو أول حب ورد لأهل مكة في العصر العثماني فكتب جميع بيوت أهل مكة ماعدا التجار وأصحاب الحرف بحيث وزع عليهم بمعدل لكل فرد أربع كيلات ودينار ذهب ، وأخذت هذه الغلال في التزايد بتوالي السلاطين العثمانيين حتى أنهم كانوا يعتمدون عليه في غذائهم طوال العام ، كما حصل في عهد السلطان سليمان عندما تولى جعله ثلاثة آلاف اردب وزاد السلطان مراد الأول خمسة الاف اردب بحيث أصبحت بعد ذلك سبعة آلاف اردب لأهل المدينة المنورة وخمسة آلاف لأهل مكة المكرمة وهي قابلة للزيادة اذ كانت عندما ترد الى مكة المكرمة بصحبة قافلة الحج فهي تأتي بتزايد كل عام عن الذى قبله .»(١)

ويذكر لنا قطب الدين النهروالي في كتابه (الاعلام ..)

---

(١) احمد بن زيني دحلان ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥١
النهروالي ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٩٤ .
دائرة المعارف الاسلامية ، جـ ٦ ، ص ٣١٠ .

صورة واضحة عن تلقي أهل مكة لهذه المخصصات ..

كما أنه يوجد لدينا كتاب آخر أعطانا صورة واضحة عن أنواع الأحمال التي كانت ترد الى جدة صحبة أمير الحج "١" وهذا الكتاب هو (درر الفوائد المنظمة ...) للشيخ عبد القادر الجزيري فقد عددها لنا على النحو التالي ، فقد كانت في عام ٩٥١ هـ (١٥٤٤م) نحو ٢٠٣٩٫٥ حملا وفي عام ٩٥٢ هـ (١٥٤٥م) نحو : ٢٠٣٧٫٥ حملا ، ولعل من المفيد أن نذكر أنواعها فيما يلي :

عدد	حملا	نوع
٣٥٠	حملا	من الدقيق المحزوم
١٨٠	حملا	من البقسماط المنشف (وزن كل حمل ٦٥٠ رطلا)
٢٠	حملا	من الارز المحزوم (كل حمل اردبان وربع)
٥	أحمال	من البرغل) (كل حمل اربعة أرادب)
٥	أحمال	من الكشك (كل حمل اربعة أرادب)
٥	احمال	من الباسلا (كل حمل كضريبة الارز في المقدار)
١٢	حملا	من العسل (عبارة عن ٦٠ قنطار في مزاور مغلقة)
٥٠٠	حمل	من القفف لقرب السقائين .
١٠	احمال	من الجبن الحالوم (عبارة عن ٦٠ قنطار في اقفاص)

---

(١) قطب الدين النهروالي: الإعلام، مرجع سبق ذكره، ص ١٩٤

عدد		نــــوع
٤	شمعات	(زنتها اربعة قناطير برسم الكعبة شمعتان وبرسم الحجرةالشريفة شمعتان) .
١	حملا واحدا	من لب الليف يحتاج اليه في مكة
٦	قناطير	من الزيت معبأ في زلعتين
١٥٠	اردبا	من الشعير المغربل
٤٣٠٠	اردبا	من الفول الصحيح المغربل "١"

وكانت هذه الأقوات تقسم أيام المماليك بين جدة وينبع لكل بندر منهما النصف بالسوية ، ولما كان احتياج مكة أكثر من احتياج المدينة تم تعديل هذا التوزيع في العصر العثماني الثلث للمدينة ، ويصل عن طريق ينبع والثلثان لمكة ويصل اليها عن طريق ميناء جدة - وهذا هو الذى كان معمولا به في عام ٩٦٠ هـ (١٥٥٢م) وكانت هذه الأقوات تفرغ في ثغر جدة وتوضع في مخازن (حواصل وشون) كانت موجودة في الميناء لوضع هذه الأقوات وغيرها من البضائع لأمراء الحج والتجار بغير أجرة ، ولكن شريف مكة في العصر العثماني وضع يده على هذه المخازن والشون وبناها بيتا له يسكنه زمن الموسم الهندى .

---

(١) مصطفى رمضان ، فائق الصواف ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٢ .
، الجزيري ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٢٤

كما يقول الجزيرى وفي عام ٩٦٠ (١٥٥٢م) احتاج أمير الحج الى موضع بالميناء يضع فيه هذه الأحمال ريثما تنقل بدورها الى مكة فوضعها في فضاء كبير (حوش) خاص بجماعة من الأشراف على مقربة من الميناء بغير أجرة ، وبمضي الزمن تظلم هؤلاء حتى عين لهم أمير الحج أجرة في مقابل ذلك وكان على شريف مكة بعد ذلك أن ينقل منها الى مكة حمولة ألف جمل من غير أجرة وماعدا ذلك أما أن ينقله أمير الحج على جماله اذا حضر أو يجهز له شريف مكة جمالا بالأجرة تنقله الى مكة ، وأما أمير الحج لكل جمل نصفان من الفضة . "١"

ويذكر الجزيرى أسماء بعض الموظفين للاشراف على نقل هذه الاحمال مثل الشادون : وعادتهم أن يكونوا من الأتراك أما من ماليك أمير الحاج وهو أحسن أو من نفر العسكر ممن يختارهم ويرضاهم وعددهم أربعة أنفار : الى جدة مع الجاويش نفران والى ينبع نفران والنوع الآخر من موظفي الدولة القائمين بأعباء هذه الأحمال .

---

(١) مصطفى رمضان وزميله ، مرجع سبق ذكره : ص ٣٣

(٢) الجزيرى مرجع سبق ذكره ، ص ٤١٣ .

الكتـــاب :

وكان عددهم أربعة،لكل ميناء اثنان ، كما ذكر في الشادين ففي عام ٩٦٠ هـ (١٥٥٢ م) اختصرهم مصطفى باشا الى اثنين لكل ميناء نفر ، والنوع الثالث هم الكيالون : وكان مثلهم مثل الكتاب ماعدا الأرزاق التي كانت تجرى عليهم فانها لكل نفر جمل "١"

أما بالنسبة للمواد التجارية والسلع التي كانت ترد الى جدة فهي البهارات وتعتبر التجارة الرئيسية الواردة من آسيا أما الفلفل الأسود فكان أكثر انتشارا ورخصا وهناك مواد أخرى كثيرة كانت تأتي من الشرق وغير بهار الفلفل كالكافور والمسك والمستكة والحنة والشاى والسكر واللالئ والمجوهرات والعاج والحرير وكل ذلك كان من دول مختلفة أمثال برما وسيلان والبنغال والصين .

وقد ذكر المؤرخ البرتغالي الذى عاش في القرن السادس عشر واسمه دوارت براسا (Dowart brasa) ان المنتجات التي كانت تذهب الى الشرق في الذهاب من ميناء (الباميوا) ومن أجل أن تذهب الى شاطئ البحر الأحمر توجد هناك منطقة تسمى جدة وهي "٢" ميناء بحرى حيث كانت تأتي السفن سنويا بالبهارات

---

(١) الجزيرى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤١٣

Angeloberce, op. cit. p.p. 64-66.

والأدوية وتعود من نفس الميناء الى كلكتا بمواد كثيرة ، مثل النحاس والزئبق وماء الورد والأقمشة والحرير والذهب والفضة ، كل هذه المنتجات كانت ترد من شرق آسيا والهند الى جدة."(١)

Angelo Berce, Op. cit., p.p.67-66 (1)

الخلاصـــــة :

نستطيع من هذه الدراسة السريعة أن نبين أهمية هذه المرحلة من تاريخ جدة فيما يلي :

١ - ان جدة لم تكن سوى قرية ضئيلة الشأن وصغيرة جدا حتى أن عددهم لم يبلغ الاربعين من الذكور ، وأول من اهتم بها في الاسلام الخليفة الثالث عثمان بن عفان عام ٢٦ هـ (٦٤٦م) وفي مطلع القرن العاشر الهجرى أصبحت جدة غرضا مستهدفا للاستعمار البرتغالي بعد أن ضعفت القوى الاسلامية في المنطقة وظهرت أهميتها في الدفاع عن مكة حتى أصبحت رباطا للمجاهدين وأفتى علماء المسلمين بأنها أهم رباط في الاسلام فقالوا :
ينبغي لمن دخل هذا الثغر المبارك أن ينوى الرباط والجهاد ويذب عن بيت الله العتيق ويصحب معه شيئا لدفع أهل الكفر والفساد ، وقالوا بأن ثغر جدة أفضل الثغور لاضافته الى بيت الله الحرام الذى من دخله كان آمنا من كل محذور ، وان فضل مرابطيه على سائر المرابطين كفضل مكة على سائر البلدان في سائر الأزمان والدهور ، ويغفر الله للناظر منه مد بصره مما يلي البلد ، وروا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قوله : " يأتي على الناس زمان يكون أفضل الربـــاط رباط جدة " "١"

٢ - ان المماليك على أيام السلطان قانصوه الغورى هم أول من رسم سياسة حربية دفاعية لثغر جدة الاسلامي بما يتناسب مـــع قدسية مكة في قلوب المسلمين في جميع بقاع العالم الاسلامـي ، فحصنوها بكل وسيلة وبنوا سورها العظيم وحفروا حوله خندقـا كبيرا وزودوها بالأسلحة والمرابطين للدفاع عنها في أية لحظـــة طارئة فجعلوا منها بذلك مركزا لخط الدفاع الثاني بعد عـدن للدفاع عن الحرمين الشريفين ضد الهجمات البرتغالية ، كمـــا جعلوا منها مركزا دفاعيا متقدما للدفاع عن الاراضي المصرية .

٣ - عندما ورث العثمانيون أملاك المماليك في المنطقة عام ٩٢٣ هـ ساروا على هدى الخطط المملوكية في الدفاع عن البحر الأحمـر والاهتمام بثغر جدة بيد أنهم أبطأوا في أعمالهم الحربية حـــتى عام ٩٤٥ هـ (١٥٣٨م) ففي تلك السنة تمت لهم السيطـــرة على سواحل اليمن وأرسلوا حملة الى الهند بقيادة سليمـــان الخادم لم تتمكن من عمل شيء أمام النفوذ البرتغالي الذى تمكن من تجارة الهند والسيطرة على البحار الشرقية .

---

(١) انظر : عبد القادر بن فرج ، السلاح والعدة في تاريخ جدة ص ص ٢ ، ٢٨ .

٤ - بعد عام ٩٤٥ هـ (١٥٣٨م) كانت سياسة العثمانيين دفاعية في البحر الأحمر ولم يفكروا في اجتيازه الى الهند لمنافسة النشاط التجارى البرتغالي أو غيره من نشاطات الدول الاستعمارية الغربية الأخرى التي بدأت تظهر في مياه البحار الشرقية .

٥ - بيد أنهم استطاعوا (بعد سيطرتهم على عدن وغيرها من موانيء البحر الأحمر) اغلاق البحر الأحمر أمام السفن الاستعمارية وجعلوه بحيرة اسلامية مغلقة بحجة انه يطل على الأماكن المقدسة الاسلامية ، فكان على مثل هذه السفن أن تفرغ حمولتها في مواني اليمن الجنوبية وتقوم السفن الاسلامية بحمل هذه التجارة الى داخل البحر الأحمر وجعلوا من السواحل اليمنية قاعدة لغلق البحر الأحمر فقط ولم تعد نقطة انطلاق لحملات كبيرة الى الهند أو الى البحار الشرقية وتجنب البرتغاليين اثارة الدولة العثمانية منذ ظهور نفوذها في البحر الأحمر فأصبح نشاطهم فيه محدودا خوفا من أن توجه الدولة العثمانية نشاطها الحربي الى الهند وخاصة أن البرتغاليين كانوا يدركون مدى قوة الدولة العثمانية في ذلك الحين وذلك باستثناء بعض حملاتهم مثل حملة عام ٩٤٩ هـ (١٥٤٢م) التي كانت ردا على حملة العثمانيين بقيادة سليمان باشا الخادم عام ٩٤٥ هـ (١٥٣٨م) .

٦ - عند ما تم للعثمانيين السيطرة على سواحل الحبشة في البحر الأحمر وأنشأوا منها ولاية كانت تسمى بولاية الحبش قاعدتها سواكن (٩٦٢ - ٩٦٧ هـ) (١٥٥٤ - ١٥٥٩ م) ربطوا بين هذه الولاية وثغر جدة الاسلامي في ادارة واحدة فأضافوا ثغر جدة الى ولاية الحبش فكأنما كانت مهمة هذه الولاية هي متابعة الدوريات البحرية في البحر الأحمر بين الشاطيء العربي والشاطيء الافريقي لاحكام السيطرة على مياه هذا البحر .

٧ - كان مجتمع جدة يتكون من مجموعة من الجنسيات ولكن أهل البلاد الاصليين لم يكن عددهم يبلغ الاربعين من الذكور ولم تكتمل بهم نصاب صلاة الجمعة كما كان بها عدد من العلماء والفقهاء والمؤرخين وكان لسكان جدة عادات اشتهروا بها عن غيرهم حيث يقال انهم اذا اجتمعوا للصلاة يأتي المؤذن ويعد الحاضرين فاذا بلغ عددهم الأربعين خطب وصلى الجمعة وكذلك من عاداتهم الاحتفال بختم القرآن .

وكان ما يميز جدة من الناحية العمرانية سورها العظيم وقبر حواء المزعوم والمسجدين العظيمين اللذان ينسبان لسيدنا عمر بن الخطاب .

الملاحق

البحر المتوسط

رشيد

غزة

القلزم

النفوذ

مويلح

مصر

خيبر

أم لج

المدينة

ينبع

قبائل بني ابراهيم

رابغ

مكة

جدة

الطائف

تربه

الليث

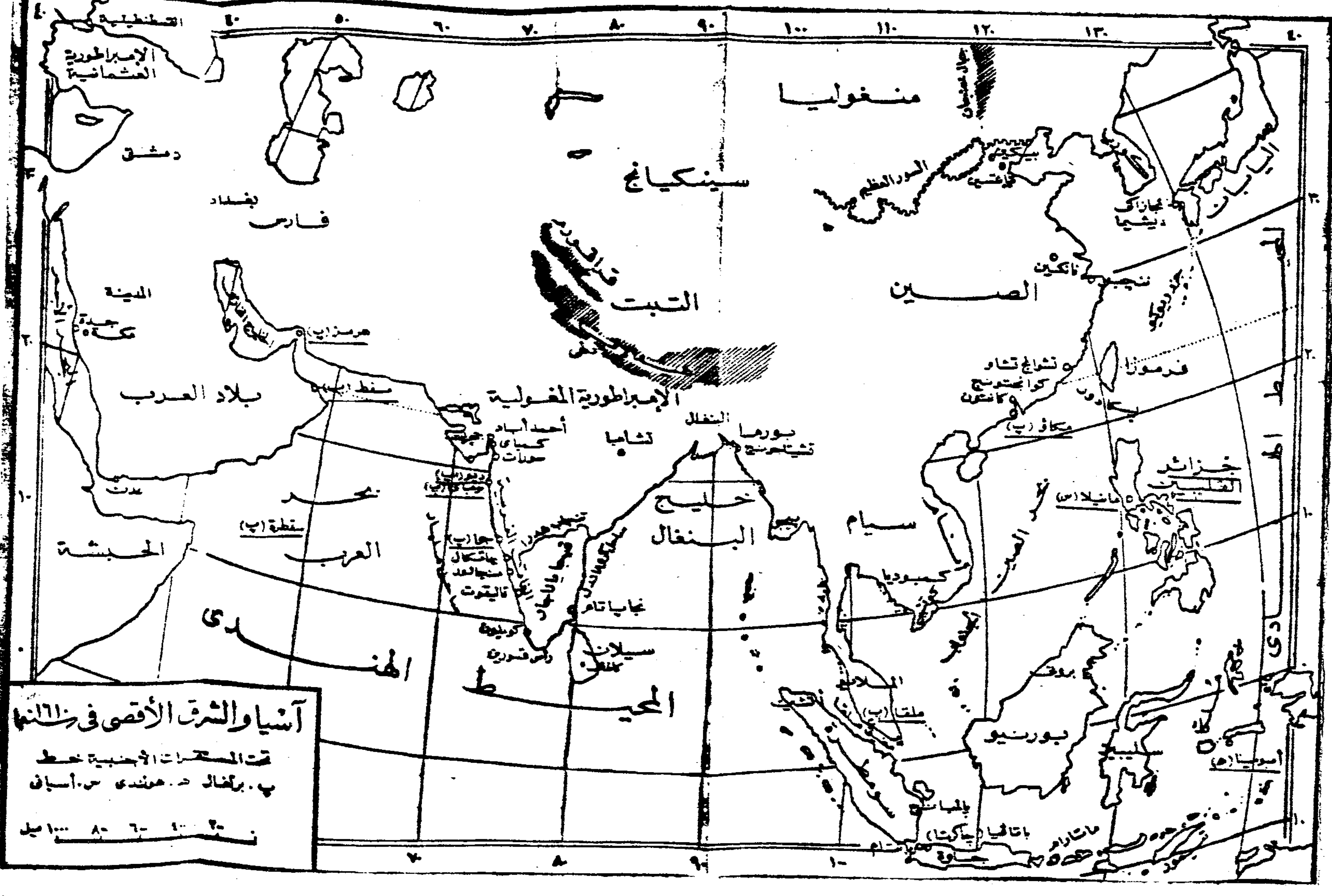
القنفذة

جزر فرسان

صنعاء

بنوطاهر

أثيوبيا


آسيا والشرق الأقصى في سنة ١٦١٠م
تحت المستعمرات الأجنبية خط
ب. برتغال د. هولندى س. أسبانى
ميل
منغوليا
سينكيانج
التبت
الصين
اليابان
الإمبراطورية العثمانية
دمشق
بغداد
فارس
المدينة
مكة
جدة
بلاد العرب
عدن
الحبشة
الإمبراطورية المغولية
أحمد أباد
تشابا
البنغال
بورما
خليج البنغال
بحر العرب
سقطرة (ب)
هرمز (ب)
سيلان
كاليكوت
المحيط الهندى
سيام
كمبوديا
بحر الصين
ملقا (ب)
بورنيو
جاوة
باتافيا
مانيلا (س)
جزائر الفلبين
فرموزا
مكاو (ب)
كانتون
نانكين
نجازاكي

البحر المتوسط

رشيد

غزة

القلزم

النفود

مصر

خيبر

أم لج

ينبع

المدينة

رابغ

جدة

مكة

تربة

الليث

القنفذة

صنعاء

أثيوبيا

الرسالة التي أرسلها السلطان سليم الى شريف مكة :

وبعد فقد وردت المطايبة الطيبة ، مقرونة بالتطيب بطيب النية الخالصة وصعدت المفاوضة الفايضة بفيوض العقيدة المتخلصة الى موارد أبوابنا العلية السلطانية ، ومصاعد أعتابنا السمية الخاقانية .
من مقام الشريفي الاشرفي الاصيلي ، العريقي الارفعي الاورعي . الاعدلي الاكملي المكملي النصيرى النصرى المؤيدى . المؤيدى الجهادى . الرباطي السيفي الزيني . حاوى مناقب سيادات السادات . وثاوى مثاوى المراتب استحقاق ذاته المحبوبة على صفات السعادات غصن دوحة حديقة حقيقته النبوة ، فرع أصل الشجرة الرسالة والمتأصل باصالة النبوية ، سيد الأشراف في الاكناف .
قاعد مقاعد صدق الامارة بين أمراء الأطراف . السيد الشريف . زين الدين بركات . بن السيد الشريف محمد لايزال مظهر الظهور عناية الله خفي الالطاف . صحبه الجناب صاحب الانتحاب الخلفي الشرفي الالطف الحسبي النسبي الاعربي الاميرى الكبيرى الابركي الاسعدى . الارشدى الامجدى صالح مصالح امور المسلمين فاتح مغاليق معطلات ثغور المسلمين . المخصوص المثتنى باستثناء المودة في القربى . في منصوص كلام الله تعالى الامير الشريف الخليف محمد ابو نماى لابرح سالكا مسالك اسلافه في مهام القوى والنحيف . فاستسعدت بسعادة مطالعتنا الشريفة وتيمنت بميامن

ملاطفتنا اللطيفة ، وأحاط محيط علمنا الكريم بما في أجواف اصـداف الاخلاص ومقولات مقالات الاختصاص لسدتنا السديدة العقيدة فيهـا العوايد المديدة . وصارت كلها منظومة بمناظم حسن القبول . ومعلومة بمعالم العناية بالفروع والأصول . وفهم انعطافكم الى الامتثال بالأمـر المعطوف على اطيعوا الله واطيعوا الرسول . فهذا هو الأمر المرمـى من مرايا أحاسن اخلاصكم المرضية والمروى من مزايا محاسن وفاقكـم الرضية . فأدام الله الجناب العالي على هذا الشيم الشماء بالتوالـي ماتعاقب الايام والليالي . وجناب الحلفي الشريف المشار اليه أدام الله توفيقه . وأقام على اقامة الحق تحقيقه . لما وصل الى مواقفنا الرفيعـة وقبل لدى عتبتنا المنيعة . أمرنا بأن يتلقى كمال الالتفات . وأن يتلقى بالتقاء غاية المراعاة من موايد عواطفنا الجليلة . وعوايد عوارفنـا الجزيلة ، وان يعامل بعناية التبجيل والاكرام ونهاية التفضيـل والاحترام كما هو كرام العادات وعادات الكرام . وبعد ان راعيناه بالرعاية الكاملة الوافرة الاقسام تلاطمت في حقه أمواج بحار عناياتنا الزاخـرة . وتزحمت في شأنه أفواج خياراتنا المتكاثرة ، فشرفناه بتشاريف الخلـع الحليقة . باشارف الخليفة وخصصناه بخصايص النعم الحقيقية . لا هالي تصادق على الحقيقة . واذنناه اذنا مقرونا لوفرة التعقلات العاليـة وأجزناه اجازة معلنة بكثرة التصدقات العالية ورسمنا له بأن يكون قاعـد امارتكم العتيقة ونايبا في مقام ايالتكم على الطريقة الانيقة . كما كان فوض اليه المقر الشريفي . سالفا - وقلده بطيب احناة آنفا . وامرنـاه

بأن يكون أميرا بمكة المشرفة المنورة المطهرة ونواحيها وضواحيهـــــا وتوابعها ، ولواحقها المعطرات ولكل موضع كان الجناب الكريـــــم حاكما وضابطا فيه بمراسم السلاطين القديمة وأصدرنا من بابنا العالـي موقفنا المتعالي منشورا شريفا ومرسوما رصيفا متضمنا بما فيه من المضمـــون المنظوم كاللوءلوء المكنون على ماقرر في كتابنا الكريم وخطابنا القويمـــة فاوصله الله الى المواصل المستقر المحرم وأنزله الى منازل المقر المحتـرم مع السلامة البدنية والروحانية بالعنايات الربانية وهمتنا السلطانيـــة . انشاء الله تعالى . "(١)"

---

(١) احمد فوءاد متولي ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٣٥٤-٣٥٥ .

نواب جدة في القرن العاشر الهجري :

حسين الكردي في عهد السلطان الغوري	٩١١ هـ / ٩٢٣	١٥٠٦ م / ١٥١٧
الامير قاسم الشرواني	٩٢٣ هـ / ٩٢٥	١٥١٧ م / ١٥١٩
الامير حسين الرومي ، الذى كان يطلق عليه احيانا حسين الكخيا أو نائب اغات الكمولية	٩٢٥ هـ / ٩٣٢	١٥١٩ م / ١٥٢٥
الامير علي جاوييش	٩٣٢ هـ / ٩٤٥	١٥٢٥ م / ١٥٣٨
الامير اسكندر	٩٤٥ هـ / ٩٥١	١٥٣٨ م / ١٥٤٤
الامير ازدمر باشا	٩٦٢ هـ / ٩٦٧	١٥٥٤ م / ١٥٥٩
الامير عثمان بن اذدمر	٩٦٧ هـ / ٩٦٩	١٥٥٩ م / ١٥٨٧
الامير خير الدين خضر	٩٦٩ هـ "١"	

---

(١) يذكر قطب الدين النهروالي في كتابه : " الاعلام باعلام بلد الله الحرام " ص ٢٣٠ ، بأن سنجق جدة في عام ٩٦٩ هـ كان الامير خير الدين خضر وفي هذه السنة حضر خير الدين خضر الى مكة ليشرف ويستشار في شأن عين زبيدة واجراء الاصلاح اللازم بها ، وكان معه يومئذ قاضي مكة الشيخ عبد الباقي بن علي المغربي .

الامير خوش كلدى "١"

الامير قاسم بك ٩٩٦ هـ ١٥٨٧م

---

(١) ذكره الجزيرى في كتابه " درر الفوائد .. " انه كان نائبا على جدة ولم يحدد فترة نيابته وكل ماذكره عنه ان جارية وأم اولاده تزوجها محمود كخيا داود باشا اميرالحج في عام ٩٥٧ هـ وأخذ منها بعض التحف والذخائر التي كانت لديها من موجودات الامير خوش كلدى نائب جدة كان ، ص ٣٩٩ .

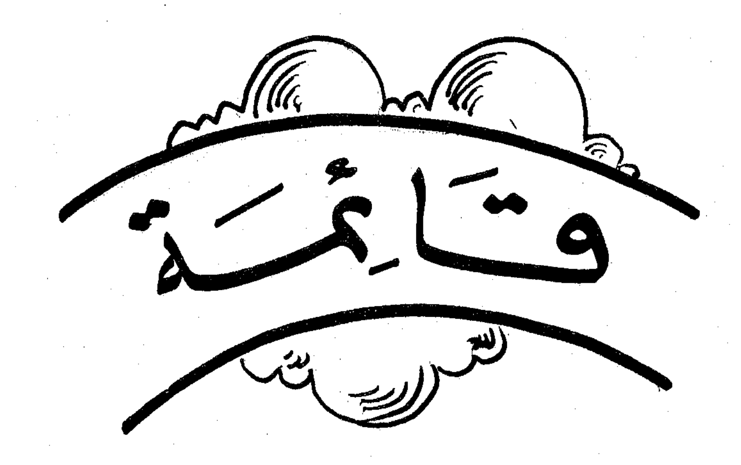
جدول زمني ملخص عن زوار جدة من القرن الحادى عشر حتى القرن التاسع عشر م

ناصر خسروا		١٠٥٠		
ابن جبير		١١٨٣		
ابن بطوطة		١٣٣٠		
نيكو لود يكونتي		١٤٣٨	أو	١٤٣٩
بيرود و كوفيلا	بين	١٤٨٧	،	١٤٩٣
لود و فيكو د وفاثريما		١٥٠٣	،	١٥٠٤
اثورياكو رسالي		١٥١٧		
انونيموس فينيشيان سكيير		١٥٣٨		
انونيموس بوتجوس سلث		١٥٨٠		
العياشي	في النصف الثاني من ق	١٧		
جوزيف بتيسي		١٦٨٥	أو	١٦٨٦
وليام دانيال		١٧٠٠		
شارلز بونست		١٧٠٠	-	١٧٠١
عبد الكريم (كشميرى)		١٧٤٢		
كاستن نيبور		١٧٦٢		
جيمس بروت		١٧٦٩		
شارلس نيولاند		١٧٦٩		

هنرى روك	١٧٨٢	
جيمس هورسبورج	١٨٠٠ -	١٨٠١
فيسكونت فالنتيا	١٨٠٥	
علي بك (العباسي)	١٨٠٧	
اولرنيش جاسبرستيزن	١٨٠٩ -	١٨١٠
جيو ثاني فيناتي	١٨١٤	
جيمس سيلك بتكينجهام	١٨١٤	
جوهان لدويج بيركهارد	١٨١٤ ،	١٨١٥
جورج فورستر سالدر	١٨١٩	
ادورد كربل	١٨٢٦ - ١٨٢٧ - ١٨٣١	
جيمس رويلستد	١٨٣١	
موريس اوتامير	١٨٣٤	
نيوفيل ليفيفر	١٨٣٨	
ايريت ، جالنيير	١٨٤٠	
روشينا د يريكورت	١٨٣٩ ،	١٨٤٢
ليون روشتيه	١٨٤٢	
توماس جوزيف ارنود	١٨٤٣	
ادولف فون ورد	١٨٤٣	
ريتشارد فرانسيس بيرتون	١٨٥٣	
شارلز د يدير	١٨٥٤	

ستانيسلاس داسيل		١٨٦٠	
هيرمان بيكنيل		١٨٦٢	
هينرش فون مالتيزان		١٨٧٠	
جون فيرير كين		١٨٧٧ -	١٨٧٨
شاليز مونتا جود وغتي		١٨٧٨	
د ينيس د وريفوير	قبـــل	١٨٨٠	بقليل
جيرهارد رولفس		١٨٨١	
شارلز هابر		١٨٨٤	
كريستيان سنوك هورجروني		١٨٨٥	
صالح صبحي		١٨٩١	
جوكي كلو دين جبر فيس		١٨٩٤	
كورتيلمونت "١"			

Angelo Perce, Op. Cit, P. 57.



بأهم المصادر والمراجع العربيّة والأجنبية والدوريات ودوائر المعارف والمعاجم

المخطوطـــــات

احمد بن محمد احمد الحضراوى الشافعي المكي :

الجواهر المعدة في فضايل جدة وتاريخها .

مخطوط صور من مركز البحث العلمي بمكة رقم (٢٧)

تاريخ

مختصر حسن الصفا والابتهاج في ذكر من ولى امارة الحاج .

مخطوط صور من مركز المعلومات بجامعة أم القرى بمكة .

عبد القادر بن فرج بن أحمد الشافعي (ت ١٠١٠ هـ) :

السلاح والعدة في تاريخ جدة

مخطوط بمكتبة الحرم .

تصوير مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمـة

رقم (٢٨) تاريخ .

عيسى بن لطف الله بن المطهر :

روح الروح فيما حدث بعد تمام التاسعة من الفتن والفتوح ،

مخطوط بمعهد احياء المخطوطات العربية ، القاهـــرة

رقم (٤٠٦) تاريخ

محمد بن اسماعيل بن محمد الكبسي :

اللطائف السنية في اخبار الممالك اليمنية .

مخطوط نسخة بقلم معتاد عام ١٣٠٠ كتبها محمد بن عبد الله الاكوع ، وعلى حواشيها تصحيحات .

مكتبة القاضي محمد بن علي الأكوع الخاصة بتعز رقم (٢٣٦) .

محمد بن محمد الصديقي ابو السرور البكرى : ت ١٠٦٠ هـ (١٦٥٠م)

المنح الرحمانية في الدولة العثمانية .

صورة من مخطوط مصور على ميكرو فيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة برقم (١١٠٥) تاريخ

يحيى بن الحسين بن الامام القاسم (ت ١١٠٠ هـ (١٦٨٨م) :

انباء أبناء الزمن في تاريخ اليمن .

مخطوط بدار الكتب المصرية ، القاهرة رقم (٦٣٤٧) تاريخ .

المصـــادر العربيـــة

ابراهيم رفعت باشا :

مرآة الحرمين والرحلة الحجازية والحج ومشاعره الدينية

الطبعة الاولى .

دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥م)

ابراهيم بن محمد الفاسي الاصطخري المعروف بالكرخي المتوفي في النصف الاول من القرن الرابع الهجرى :

المسالك والممالك :

تحقيق د . محمد جابر عبد العال الحسيني .

مراجعة : محمد شفيق غربال (١٣٨١ هـ ١٩٦١م)

القاهرة - وزارة الثقافة والارشاد القومي .

احمد بن علي القلقشندى (ت ٨٢١ هـ - ١٤١٨م) :

صبح الاعشى في صناعة الانشا ج ٤

وزارة الثقافة والارشاد القومي .

القاهرة : عام ١٥٣٥ م .

ابن سعد : الطبقات الكبرى ، المجلد الثامن . بيروت عام ١٢٧٧م (١٩٥٨م)

احمد بن علي المقريزى :

كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك : ج ٤

القسم الثالث (٨٤١ هـ - ٨٤٤ هـ)

تحقيق : د . سعيد عاشور كلية الاداب جامعة القاهرة

مطبعة دار الكتب ١٩٧٣م

المقدسي المعروف بالبشارى :

احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ط ٢

بمطبعة بريم عام ١٨٠٦م المسيحية .

احمد بن ماجد :

ق ١٠ هـ ثلاث أزهار في معرفة البحار

تحقيق : تيودورا سوموفسكي

ترجمة محمد فريد مرسي - القاهرة (١٩٦٩م)

احمد بن ماجد ق ١٠ هـ :

كتاب الفوائد في اصول علم البحار والقواعد

تحقيق : ابراهيم خورى وعزه حسن دمشق عام ١٩٧١م

تقي الدين محمد بن احمد الفاسي المكي المالكي، شفاء الغرام باخبار البلد الحرام

حسين بن احمد العرشي :

بلوغ المرام في شرح مسك الختام ، وقد ختم حوادثه عام ١٣١٨هـ

(١٩٠٠م)

نشرة الاب انستاس مارى الكرملي ، طبع في القاهرة ١٩٣٩م

شمس الدين محمد بن طولون : (ت عام ٩٥٣ هـ) (١٥٤٦م)

مفاكهة الخلان في حوادث الزمان

تحقيق : محمد مصطفى ج ١ - ٢ القاهرة ١٩٦٤م

عبد الرحمن بن علي الديبع الشيباني الزبيدى (ت عام ٩٤٤ هـ)

قرة العيون بأخبار اليمن الميمون : ج ٢

تحقيق : محمد بن علي الاكوع الحوالي .

عبد القادر بن محمد بن القادر بن محمد بن ابراهيم الانصارى الجزيرى :

درر الفوائد المنظمة في اخبار الحاج وطريق مكة المعظمة .

المطبعة السلفية - بالقاهرة .

عبد الله محمد بن اسحاق الفاكهي :

كتاب المنتقى في اخبار أم القرى

وهي منتخبات من تاريخ مكة ج ٢ .

غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري : زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك

محمد بن احمد بن اياس (ت ٩٣٠ هـ (١٥٢٣م)

بدائع الزهور في وقائع الدهور :

تحقيق : محمد مصطفى ، ج ٤ - ٥ /

القاهرة ١٩٦١م .

محمد جار الله بن محمد نور الدين بن ابي بكر بن علي بن ظهيرة القرشي المخزومي :

الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف ،

ط عام ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨م)

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر .

محمد احمد النهروالي المكي المشهور بقطب الدين (٩١٧ - ٩٩٠ هـ)

البرق اليماني في الفتح العثماني .

أشرف على طبعه حمد الجاسر .

منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض ، المملكة العربية السعودية .

- الاعلام باعلام البلد الحرام

محمد بن عبد المنعم الحميرى :

الروض المعطار في خبر الاقطار :

معجم جغرافي ، مع سرد عام

حققه : د . احسان عباس ، مكتبة لبنان ، ساحة رياض الصلح - بيروت .

محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) :

البدر الطالع بمحاسن من ولي بعد القرن السابع ج ١ - ٢

ط ١ عام ١٣٤٨ هـ - بمطبعة دار السعادة بجوار محافظة مصر - بالقاهرة .

محمود كامل : الجزيرة شماله وجنوبه

يحيى بن الحسين القاسم بن محمد بن علي (ت ١٠٣٥-١١٠٠ هـ
(١٦٢٥م) :
غاية الاماني في اخبار القطر اليماني ، ج ٢
تحقيق وتقديم : سعيد عاشور .
مراجعة د . مصطفى والنشر (١) القاهرة دار الكاتب
العربي .

المراجع العربية

احمد ابراهيم دياب . د .
ندوة مصادر تاريخ الجزيرة العربية العلاقات بين جـــدة
وسواكن التي كانت تابعة لولاية جدة في فترة الحكم العثمانـــي
جامعة الرياض ، المملكة العربية السعودية - قسم التاريخ -
كلية الآداب .

احمد حسين :
موسوعة تاريخ مصر ج ٢ - ٣
٩٢ شارع القصر العيني ، الشعب ، القاهرة .

احمد حسين شرف الدين :
اليمن عبر التاريخ من ق ١٤ م الى ق ٢٠ م
الطبعة الثانية ١٣٨٤ هـ (١٩٦٤م)

احمد السباعي :
تاريخ مكة ج ١ - ٢ .
مكة ط ٣ ، ١٣٨٧ هـ - دار قريش للطباعة بمكة .

احمد السيد دراج ، د . سيد رجب حراز . د .
دراسات في التاريخ المصرى
دار النهضة العربية / القاهرة عام ١٩٧٥ م

احمد فوءاد متولي . ا د .

الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له .

دار النهضة العربية القاهرة .

احمد محمود الساداتي :

تاريخ الدولة الاسلامية بآسيا وحضارتها في شبه القارة الهندية .

معهد الدراسات الاسلامية .

انور عبد العليم . د .

اعلام العرب ٦٣

ابن ماجد الملاح .

امين سعيد :

اليمن تاريخه السياسي منذ استقلاله في ق ١٣ هـ

ط / داراحياء الكتب العربية - القاهرة

احمد بن يعقوب الهمزاني :

صفة جزيرة العرب .

تحقيق : محمد بن علي الاكوع الحوالي .

منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر .

الرياض - المملكة العربية السعودية .

الحسن بن احمد الحيمي :
سيرة الحبشة .
تحقيق . د . مراد كامل
مطبعة دار العلم العربي - القاهرة ت ٩٠٦٧٠٦ .

احمد بن زيني دحلان :
خلاصة الكلام في بيان امراء البلد الحرام .
المكتبة الازهرية بالقاهرة ، ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧م)

السيد رجب حراز :
ارتريا الحديثة ١٥٥٧ - ١٩٤١م
معهد البحوث والدراسات العربية - القاهرة عام ١٩٧٤م

بريطانيا وشرق افريقية من الاستعمار الى الاستقلال
معهد البحوث والدراسات العربية - القاهرة ١٩٧١م

عصر النهضة -
دار النهضة العربية ت ٧١٣٢٧

الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب ١٨٤٠ - ١٩٠٩ :
معهد البحوث والدراسات العربية - جامعة الدول العربية ١٩٧٠م

المدخل الى تاريخ مصر الحديث من الفتح العثماني الى
الاحتلال البريطاني .
دار النهضة العربية .

السيد مصطفى سالم :
الفتح العثماني الاول لليمن ، ١٥٣٨هـ (١٦٣٥)
ط ٢ ، ١٩٧٤م
معهد البحوث والدراسات العربية .

الشاطر بصيلي عبد الجليل :
تاريخ وحضارات السودان الشرقي والاوسط من القرن السابع
الى القرن التاسع عشر الميلادى :
وزارة الثقافة والاعلام بالقاهرة .

بانيكـــار :
آسيا والسيطرة الغربية :
ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد
مراجعة : احمد خاكي
الناشر : دار المعارف بمصر ، القاهرة ،ج ٠ م ٠ ع

توفيق اليوزبكــي :
تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المماليكي .
جامعة الموصل ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥م)
موسسة دار الكتب للطباعة والنشر .

جلال يحيى . د .
الاستعمار والاستقلال والتخلف
عام ١٩٦٥ مطابع رويال ت ٣٣٤٩١ - الاسكندرية

جمال الدين الشيال . د .
تاريخ دولة اباطرة المغول الاسلامية في الهند .
مطقعة التقدم ت ٣٦٠٥٤ - الاسكندرية .

جورج فاضلوا حوراني :
العرب والملاحة في المحيط الهندى .
ترجمة : د . يعقوب بكر .
مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة .

حسين موئنس :
الشرق الاسلامي في العصر الحديث .
مطبعة حجازى بالقاهرة : ت ٥٥٤٨٠

زاهر رياض :
استعمار القارة الافريقية واستقلالها :
ط١ دار المعرفة القاهرة ، ١٩٦٦م

سليمان حزين وآخرون: الجغرافيا الطبيعية والعملية، وزارة التربية والتعليم عام ١٩٦٥م

ساطـــع الحصرى :

البلاد العربية والدولة العثمانية :

طبعة موسعة - دار العلم للملايين - بيروت - عام ١٩٦٥م

سعاد ماهـــر :

البحرية في مصر الاسلامية وآثارها الباقية :

وزارة الثقافة ، القاهرة عام ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م .

سيد عبد المجيد بكر :

الملامح الجغرافية لدروب الحجيج :

الكتاب الجامعي ، ط ١ ، عام ١٤٠١ هـ (١٩٨١م)

صلاح العقـــاد :

التيارات السياسية في الخليج العربي .

مكتبة الانجلو المصرية عام ١٩٧٤ م .

عبد الحميد البطريق :

من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧ - ١٨٤٠

معهد البحوث والدراسات العربية - القاهرة عام ١٩٦٩م

عبد الرحمن حميدة :

اعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم :

تصوير من دارة الملك عبد العزيز بالرياض - المملكة العربيـــة

السعودية - عام ١٤٠١ هـ .

عبد العزيز سليمان نوار :

الشعوب الاسلامية :

دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت - عام ١٩٧٣م .

عبد العزيز الشناوى :

الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها .

القاهرة ، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٨٠م ج ١ - ٢ .

اوروبا في مطلع العصور الحديثة

القاهرة ط ٣ .

عبد القدوس الانصارى :

تاريخ مدينة جدة :

طبع على نفقة بلدية جدة .

حقوق الطبوع محفوظة للمؤلف عام ١٣٨٠ هـ .

موسوعة تاريخ جدة :

جدة عام ١٤٠١ هـ - ١٩٨٠م

التحقيقات المعدة بحتمية ضم جيم جدة :

كتاب المنهل - مطابع دار الاصفهاني وشركاه .

مع ابن جبير في رحلته :

ط ١ ، المطبعة العربية الحديثة ، القاهرة ،

ت ٨٢٦٢٨٠ .

عبد المجيد عابدين :

بين الحبشة والعرب .

مطبعة السعادة ، بجوار محافظة مصر - القاهرة

عبد المنعم النمر :

تاريخ الاسلام في الهند :

ط ١ ، ١٣٧٨ هـ ١٩٥٩ م

دار العهد الجديد للطباعة كامل مصباح - ت ٥٠٨٥٢ .

عطية القوصى :

تجارة مصرفي البحر الاحمر منذ فجر الاسلام حتى سقـوط الخلافة العباسية .

دار النهضة العربية - ٣٢ شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة

علي بن حسين السليماني :

العلاقات الحجازية المصرين زمن سلاطين المماليك "

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ١٣٩٢ هـ - (١٩٧٣) م

عمر رضا كحالة :

جغرافية شبه جزيرة العرب :

مطبعة الترقي بدمشق ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥م)

عبد العزيز عبد الله مرداد ابو الخير :

المختصر من كتاب نشر النور والزهور في تراجم افاضل مكة

من ق ١٠ الى ق ١٤ ،

ج ١ ، مطبوعات نادى الطائف الادبي ، عام ١٣٤٥ هـ

فالترهنش :

المكاييل والاوزان والمقاييس الاسلامية وما يعادلها في النظام المترى

ترجمة عن الالمانية د . كامل العسيلي .

مطبعة القوات المسلحة الاردنية .

منشورات الجامعة الاردنية .

فوءاد حمـــزة :

قلب جزيرة العرب

مكتبة النهضة الحديثة - الرياض - المملكة العربيـــة السعودية

فيليب رفله، احمد سامي مصطفى: الجغرافيا الطبيعية ط ١ - القاهرة مكتبة النهضة المصرية

قدرى قلعجي :

الخليج العربي .

دار الكاتب العربي .

مصطفى رمضان ، فائق الصواف :
أهمية ثغر جدة في النصف الاول من القرن العاشر الهجرى ١٦م :
بحث قدم في ندوة البحر الأحمر في التاريخ ، المنعقدة
بالقاهرة سنة ١٩٧٨م .
جامعة عين شمس - كلية الاداب ، الدراسات العليا
للتاريخ الحديث ، الاسبوع العلمي الثالث .
جامعة الدول العربية - المنظمة العربية للتربية والثقافة
والعلوم .
محمد سعيد المسلم :
ساحل الذهب الاسود :
ط ٢ ، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت
محمد عبد العال احمد :
البحر الأحمر . والمحاولات البرتغالية الاولى للسيطرة عليه :
الهيئة المصرية للكتاب - الاسكندرية ١٩٨٠م .
محمد عبد اللطيف البحراوى . د .
فتح العثمانيين عدن وانتقال التوازن الدولي من البر الى
البحر :
مكتبة دار التراث ،
القاهرة ١٩٧٨م .

د. محمد السيد غلاب: مبادئ الجغرافيا الطبيعية ط٢ عام ١٩٧٢م مكتبة الانجلو المصرية

محمد بن عبد المنعم السيد الراقد . د . احمد احمد الحتة :

الغزو العثماني لمصر ونتائجه على الوطن العربي :

الناشر : موسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر :

ت ٢٩٤٧٢ .

محمد فريد بك المحامي :

تاريخ الدولة العلية العثمانية :

دار الجيل ، بيروت ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧م)

محمد مختار باشا :

التوفيقات الالهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الامريكية والقبطية .

الموسسة العربية للدراسات والنشر .

محمود شاكر :

الكشوف الجغرافية دوافعها وحقيقتها :

المكتب الاسلامي : ط ١ ، ١٣٩٣ هـ .

مواطن الشعوب الاسلامية في آسيا (١٤)

شبه جزيرة العرب (٣) الحجاز .

المكتبة الاسلامية .

دمشق ، ص . ب ٨٠٠٠

محمود كامل : اليمن شماله وجنوبه ، بيروت - دار بيروت للطباعة والنشر

محمود صالح منسي :

حركة اليقظة العربية في الشرق الآسيوى .

دار الفكر العربي .

محمود طه ابو العلا :

جغرافية شبه جزيرة العرب ، جغرافية المملكة العربية السعودية

ج ٢ ، جامعة الكويت - عام ١٩٧٢م

موسسة سجل العرب .

مصطفى الشهابـي :

الجغرافيون العرب (اقرأ ٢٣٠)

دار المعارف بمصر .

محمد أنيس :

الدولة العثمانية والشرق العربي :

من ١٥١٤ - ١٩١٤ م

مطبعة الانجلو المصرية ، القاهرة ، عام ١٩١٨م

ناصر خسرو : سفر نامه :

رحلة ناصر خسروا الى لبنان وفلسطين ومصر والجزيرة

العربية في ق ٥ هـ

نقلها للعربية : د . يحيى الخشاب .

دار الكتاب الجديد .

نعيم زكي فهمي :

طرق التجارة الدولية ومحطاتها اواخر العصور الوسطى .

الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٣٩٣ هـ

(١٩٧٣م)

نجم الدين بن الرفعة الانصارى (ت ٧١٠ هـ (١٣١٠م) :

الايضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان .

تحقيق : د . احمد اسماعيل الخاروف .

مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي

كلية الشريعة والدراسات الاسلامية مكة المكرمة - عام ١٤٠٠ هـ

نوال صيرفي ، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي ١٩٨٠م

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير من جامعة ام القرى عام ٩٩ - ١٤٠٠هـ

يسرى الجوهري :

الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية

منشأة المعارف بالاسكندرية عام ١٩٦٥م .

الرحـــــلات

الحسين بن محمد الورثيلاني :

نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والاخبار ، المشهـــور بالرحلة الورثيلانية :

ط ٢ ، عام ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤م)

دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان .

القاسم بن يوسف التجيبي السبتي (ت ٧٣٠ هـ (١٣٢٩م)

مستفاد الرحلة والاغتراب :

تحقيق واعداد : عبد الحفيظ منصور .

الدار العربي للكتاب - ليبيا - تونس .

عبد المحسن البركاتي :

الرحلة اليمانية

الطبعة الثانية ، عام :

محمد بن احمد بن جبير الكناني الاندلسي الشاطبي البلبنس :

(ت ٦١٤ هـ) (١٢١٧ م) :

رحلة ابن جبير :

ط . بيروت ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨م)

محمد بن عبد الله بن محمد : (ت ٧٧٩ هـ (١٣٧٧م) :
رحلة ابن بطوطة المسماة (تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار)
القاهرة .

محمد لبيب البتنوني :
الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني ، خديوى مصر :
ط ٢ ، بعد تنقيحها وتهذيبها وزيادة أشياء مهمة عليها عام ١٣٢٩ هـ
حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمؤلف -
مطبعة الجمالية بمصر .

ابي سالم العياش (المتوفي عام ١٠٩٠ هـ (١٦٧٩م) :
الرحلة العياشية :
ج ٢ ، الطبعة الثانية
دار المغرب - الرباط ١٣٩٧ - (١٩٧٧) م

دوائر المعارف والمعاجم

ابراهيم ذكي خورشيد ، احمد الشنتناوى ، د . عبد الحميد يونس:
دائرة المعارف الاسلامية .
النسخة العربية .
أصدرها بالانكليزية والفرنسية والالمانية ائمة المستشرقين في العالم .
الشعب - القاهرة .
بطرس البستاني :
دائرة المعارف ج ٦ :
تهران ناصر خسرو باسار لجيدى : ت ١٣٣١ .
زامباور المستشرق :
معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي :
طبعة جامعة فؤاد الاول - عام ١٩٥١ م
محمد فريد وجدى :
دائرة معارف القرن الرابع عشر والعشرين :
دار المعرفة للطباعة - بيروت .
ياقوت عبد الله الحموى الرومي البغدادى :
معجم البلدان : ج٢ ، دار صادر بيروت .

الدوريـــــات

الدارة :

مجلة ربع سنوية ، تصدر من دارة الملك عبد العزيز ، تعني بتراث وفكر المملكة والجزيرة العربية والعالم العربـــي والاسلامي .

العدد الثاني للسنة السادسة ربيع الاول ١٤٠١ هـ ، يناير ١٩٨١م .

العـــرب :

مجلة شهرية جامعة ، تصدر في الرياض :

صاحبها ورئيس تحريرها : حمد الجاسر .

ج ٣ ٠ س / ٢ رمضان عام ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧م) .

ذو القعدة والحجة عام ١٣٩٨ هـ

محرم وصفر عام ١٣٩٩ هـ

ج ١ و ٢ س ١٧ رجب وشعبان ١٤٠٢ هـ .

مجلة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية : جامعة الملك عبد العزيـــز بمكة المكرمة .

مجلة سنوية ـ العدد الثاني ـ السنة الثانية ١٣٩٦، ١٣٩٧هـ

د . محمد كمال الدسوقي .

أهمية الحجاز في مطلع العصور الحديثة .

مجلة تراث الانسانية :

سلسلة تتناول بالتعريف والبحث والتحليل روائع الكتب
التي أثرت في الحضارة الانسانية -
مطابع كونستانسو ماس وشركاه - القاهرة

مجلة البحث العلمي - مركز احياء التراث : جامعة أم القرى :
المملكة العربية السعودية :
العدد الاول عام ١٣٩٨ هـ
والعدد الرابع عام ١٤٠١ هـ .
مركز المعلومات والابحاث . جده ، الخدمات الترفيهية .

المراجع الاجنبيـــة

- Angelo perce, Jiddah portrait of an Arabian City, Falcon Press, London 1977.

- Moreland, W.H., The ships of the Arabian Sea about A.D. 1500. The journal of the Royal Asiatie Society of Great Britain and Ireland, London. 1933.